الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مادة الأدب الجزائري الحديث

السنة الثانية ماستر أدب حديث ومعاصر

السداسي الثالث

إعداد الدكتور إبراهيم لقان

أستاذ محاضر بمعهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

السنة الجامعية: 2021/2020م

مقدمــة

تهدف هذه المحاضرات إلى تعريف طلبة السنة الثانية ماستر أدب حديث ومعاصر بالأدب الجزائري لتمكينهم من معرفة الظروف التي أسهمت في ظهور هذا الأدب وبداياته ومساراته وقضاياه الموضوعاتية والفنية، هذه القضايا التي ما زالت تحتاج إلى كثير من البحث على الرغم من الجهود المبذولة من طرف الباحثين في هذا الأدب.

ومن خلال تجربتي في تدريس هذه المادة للطلبة رأيت أن أضع بين أيديهم هذه المحاضرات في شكل مطبوعة بيداغوجية أكاديمية تساعدهم على معرفة أعلام هذا الأدب و نماذج من شعره ونثره تمكنهم من الوصول إلى نصوصه، والوقوف على مضامينه وظواهره الفنية.

وقد اعتمدت في بناء هذه المحاضرات على مفردات المادة كما وردت في عرض التكوين الساري المفعول، الخاص بالسنة الثانية ماستر تخصص أدب حديث ومعاصر، وأخذت المادة العلمية من جملة من المصادر والمراجع المتخصصة أحيانا والعامة أحيانا أخرى، وهي مثبتة في هوامش هذه المطبوعة، وفي قائمة المصادر والمراجع .

ونظرا لكثرة المفردات وكثافة المادة المتعلقة بها، فقد التزمت في هذه المطبوعة التفصيل أحيانا والإجمال أحيانا أخرى مكتفيا بإحالة الطلبة إلى مضان المادة الأصلية، ملتزما البساطة والسهولة التي تقرب المادة إلى أفهام الطلبة على اختلاف مستوياتهم. وقد تضمنت هذه المطبوعة المفردات الآتية:

1- الحياة الثقافية والأدبية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر

2- عوامل النهضة الأدبية في مطلع القرن العشرين

3- دور الصحافة في النهضة الأدبية (الشعرية)

4- مدخل إلى اتجاهات الشعر الجزائري

5- الشعر الإصلاحي الديني الجزائري

6- الشعر الثوري

7- الشعر التجديدي

8- الفنون النثرية الجزائرية الحديثة: أولا- فن الرحلة. ثانيا – فن الخطابة.

9- الفنون النثرية الجزائرية الحديثة (تابع): ثالثا- فن المقالة. رابعا- فن الرسالة

10- فن القصة

11- فن المسرحية

12- النص النثري الجزائري والاتجاه الوطني

13- إرهاصات الرواية الجزائرية

14- النص النثري الجزائري المكتوب بالفرنسية

وآمل في الأخير أن تكون هذه المطبوعة في مستوى منهج البحث الأدبي، وأن تكون عونا للطلبة الباحثين، وأنا لا أدعي كمالها، وألتمس من كل من اطلع عليها أن يهدي إليَّ ما رآه فيها من هنات، وينبهني إلى ما فيها من نقص، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والله ولي التوفيق

الدكتور إبراهيم لقان

ميلة في 22 مارس2021

بسم الله الرحمان الرحيم

المحاضرة الأولى: الحياة العامة في الجزائر خلال القرن التاسع عشر

أولا- الحياة السياسية

تتسم الحياة السياسية في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي بالاضطراب والعنف المستمرين، فالجزائريون لم يهدأ لهم بال طوال هذه الفترة فقد كان الاستعمار هو مصدر هذا الاضطراب السياسي كما كان هو السبب الأول في قيام العديد من الانتفاضات والثورات المتعاقبة ابتداء من ثورة الأمير عبد القادر التي دامت زهاء سبع عشرة سنة في القرن التاسع عشر (من 1832 إلى 1847) إلى ثورة سنة أربع وخمسين في القرن الماضي.[1]

فقد مُسّ الجزائريون في مقدساتهم ومصالحهم العامة على اختلافها، من دينية وثقافية وسياسية واقتصادية. فكان لامناص من أن يكون رد الفعل عنيفا، ومن أهم تلك الثورات:

1-ثورة الزعاطشة 1849 قاموا ببسالة ولكن الجيش الفرنسي حصدهم حصدا مقاتلين ونساء وأطفالا. تولى القيادة أبو زيان أحد أعوان الأمير عبد القادر. راجع محمد العربي الزبيري: مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1972، ص72.

2-ثورة الأغواط سنة 1851، بقيادة المجاهد محمد بن عبد الله.

3- ثورة القبائل الصغرى، سنة 1853.

4-ثورة القبائل الكبرى، سنة 1857.

5- ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864- 1881)، وهي من أهم وأطول الثورات في القرن التاسع عشر، قامت في جنوب الجزائري بقيادة مرابطين.

6-ثورة الحاج أحمد المقراني 1881، في منطقة القبائل الكبرى وشمالي قسنطينة، زعيمها أحمد المقراني زعيم وجيه استشهد بعد قيامها بثلاثة أشهر، فتابع النضال بعده أخوه بومزراق.

7- ثورة الشيخ بوعمامة (1881-1904) دامت أكثر من عشرين سنة وهي أطول مدة في تاريخ الثورات المحلية في الجزائر، قائدها أبو عمامة وهو من عائلة أولاد سيدي الشيخ.

8- ثورات في الأوراس سنة 1916، وقد استخدم المحتلون أفظع الوسائل لإخمادها.

[1] - ينظر: عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 10-11.

وقد هزمت هذه الثورات لكن النقمة لم تهدأ، بل مرت في فترات هدنة وترقب، وقد حذر الجنرال لاكوي (Jean Gerard Lacueè 1841- 1752) من النار التي ستبقى تحت الرماد ما دامت الجزائر محتلة، وقال: إن فرنسا المستعمرة ستبقى في حرب دائمة مع أفريقيا[1].

ثانيا- الحياة الاجتماعية

من خلال النظرة التي ألقيناها على الحياة السياسية تبين لنا أن الوضع السياسي كان مضطربا، فاضطرب لذلك حبل الاقتصاد بالنسبة للمواطنين الجزائريين الذين سلبت منهم الأراضي الخصبة وأبعدوا إلى الأحراش والأوعار التي لا تسمنهم من هزال ولا تغنيهم من جوع، فنشأ عن هذا الوضع الاقتصادي اضطراب اجتماعي عام، ترتب عنه ظاهرتان اجتماعيتان هما:

1-الهجرة الداخلية حيث كان الجزائريون ينتقلون من منطقة إلى أخرى طلبة للأمن ورغبة في العيش، والخارجية إلى الخارج بسبب الاضطهاد السياسي حيث تفرقت الأسر العريقة شدر مدر، إلى سورية وتونس والمغرب، وفرار الشبان الجزائريين من الخدمة العسكرية الإجبارية في صفوف جيش المحتل

2-الصراع الطبقي بين السكان ويمكن حصر هذه الطبقات التي كان المجتمع الجزائري يتكون منها قبل ثورة التحرير في:

1- طبقة السكان الأصليين وهؤلاء مضطهدون سياسيا مهملون اجتماعيا محرومون اقتصاديا حاول المستعمر بث النزعة القبلية بينهم (عرب وقبائل).

2- طبقة اليهود: الذين يسيطرون على رؤوس الأموال ويحتكرون الأجهزة التجارية الكبرى ويتمتعون بالامتيازات الخيالية، فكان منهم التجار الكبار والأغنياء ورجال الأعمال الأثرياء الذين يتحكمون في كثير من الأجهزة الاقتصادية والمالية والصناعية في الحزائر.

3- طبقة الأوربيين: ومنهم كانت تتألأف طبقة الإقطاعيين والبرجوازيين الذي كانوا يتحكمون في أكبر الشركات والمزارع والمصانع في الجزائر برؤوس أموالهم وأموال اليهود.

ثالثا- الحياة الثقافية والأدبية في الجزائر

[1] - ينظر: نور سلمان: سلمان نور: الأدب الجزائري في رحاب الرفضو التحرير، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص125- وما بعدها.

كان التعليم منتشرا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي بشهادة الرحالين الغربيين، قال (فيلهلم شيمبر وهو أحد الرحالين الألمان 1804-1878)، حين مرّ بالجزائر سنة 1831م : " لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه، في حين وجدت ذلك في بلدان جنوب أروبا"[1]

أما بعد الاستعمار بحوالي سبعين عاما فقد تغير الوضع الثقافي للجزائر تماما بسبب سياسة الاستعمار الفرنسي، المستعمر الفرنسي، حيث تدهور التعليم، وأصبح الجزائريون -خاصة الشباب منهم- يعانون حالة استلاب كبيرة، وقد وصف أحد رواد الإصلاح الديني في الجزائر وهو (عمر بن قدور الجزائري 1886-1931) الذي عايش تلك الفترة الحالة التي أصبح عليها الشباب العربي قائلا: " استلبت الأمم الأخرى عقول شبان الإسلام ،واستهوى مجدها نشأته، ونخبته، فكما ترى رجلا يفتخر بذكرى عالم فرنساوي، وآخر يمجد اسم عالم انجليزي،ترى شابا يرفع عقيرته بأشعار فكتور هيجو، والآخر معجب بروايات شيكسبير ،وهكذا فلا شغل لتلك الفئة إلا حمد رجال أروبا وتمجيد نثرهم وشعرهم واختراعاتهم،ومن المحال أن يخطر في بال أحد، ذكر علاّمة مسلم أو شعر شاعر عربي مفلق، أو إصلاح مصلح شرقي .

لقد لجأت فرنسا منذ وطئت أقدامها أرض الجزائر إلى وسائل مختلفة لمحو تاريخها، وطمس شخصيتها، وقطع حبال اتصالها بالعروبة و الإسلام، وتفننت في ابتكار الوسائل لتحقيق ذلك، وأهم ما ركزت عليه هو التدمير المعنوي للشعب الجزائري وإشعاره بأنه دون مستوى المحتل، ومن ثم القبول بفرض إرادته وسيطرته عليه. وكان من بين وسائلها توظيف الأدب لهذه المهمة القذرة، وبهذا " ظهر فن جديد من فنون الأدب في اللغات الغربية لا يُعنى إلا بتحري الصفحات السود من تاريخ الشعوب المغلوبة، والغوص على مثالبها، وتشويه حسناتها، وطمس آثارها، ونسبة ما شهرت به من منجزات حضارية إلى شعوب أخرى"[2]

وهكذا نجحت سياسة الاستعمار أحيانا، وكان من نتائجها لصالح المستدمر ظهور بعض الأدباء والزعماء مستسلمين للمنطق الاستعماري، مروجين لأفكاره، والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ولعل هذا يبدو بشكل أوضح في قول أحد أبناء المدرسة الفرنسية، فرحات

[1] – ينظر: أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1975 ،ص13.

[2] – نور سلمان الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ط1 دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1988،ص46.

عباس"ولو أني اكتشفت القومية الجزائرية لكنت من القوميين، ولما خجلت من ذلك فالرجال الذين ماتوا من أجل مثلهم الوطنية مكرمون محترمون، ولا تساوي حياتي أكثر من حياتهم ومع ذلك فلن أموت من أجل الوطن الجزائري لأن ذلك الوطن ليس له وجود. لقد سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات، فلم يحدثني أحد عنه، ولا يمكن البناء على الهواء، ولقد استبعدنا تماما جميع هذه الأوهام لنربط نهائيا مستقبلنا بما حققته فرنسا لهذه البلاد[1].

هذا القول يمثل دليلا قويا على التأثير الشديد للحملة العنيفة التي شنها أدب الاستعمار لزعزعة النفوس، وخلخلة الثوابت. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمرصاد لأولئك المثيقفين، دعاة الاندماج، حيث رد الإمام ابن باديس على فرحات عباس قائلا: "إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ، وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، وهذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت"[2].

ومن وسائل الاستدمار كذلك، الإبادة الثقافية التي مارسها على الثقافة الجزائرية، فقد أغلق المدارس والمراكز الدينية التي كانت تنبعث منها الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة و " ونهب جنوده الكثير من المخطوطات العربية القيمة وأتلفوا بعضها"[3].

إن الخراب الفظيع الذي منيت به الثقافة الجزائرية، و الاستلاب الفكري الذي تعرض له بعض الجزائريين، ترك حسرة في نفوس الغيورين عليها، وجعل حالة الجزائر الثقافية يرثي لها الصديق، ويشمت بها العدو، وهذا المآل أدى إلى تعاطف بعض المفكرين والمؤرخين من وراء الحدود الجزائرية، فالمؤرخ التونسي(عثمان الكعاك) يصدر في سنة 1925 كتابيه (بلاغة العرب في الجزائر) و(موجز التاريخ العام للجزائر). "ويؤكد الكعاك أن باعثه على ذلك ما لمسه في أبناء الجزائر من انفصال عن الماضي، كاد يفقدهم كل إحساس بالشخصية والذاتية"[4]. ومن أخطر أسلحة الاستعمار كذلك تغريب الجزائريين عن اللغة العربية ففي أواخر القرن التاسع عشر زار أحمد شوقي الجزائر، وعندما عاد إلى

---

[1] – ينظر: صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 96-97.

[1]– الشهاب، أفريل1936، نقلا عن خرفي صالح: الشعر الجزائري الحديث، هامش ص109.

[2]– نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 53.

4– الكعاك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر نقلا عن خرفي صالح: الشعر الجزائري الحديث،ص99.

القاهرة تناقلت الصحف قوله المشهور: "ولا عيب فيها (أي الجزائر) غير أنها قد مسخت مسخا، فقد عهدت مساح الأحذية يستنكف عن النطق بالعربية، وإذا خاطبته لا يجيبك إلا بالفرنسية[1]".مع العلم أن مساح الأحذية لا يصلح معيارا للحكم على حالة الجزائر الثقافية، ولكن ما يؤكد تردي حالة العربية، وانفصال الجزائر النسبي عن المشرق، أن محمد عبده رائد النهضة في مصر زار الجزائر سنة 1904، ولم يثر مروره انتباها " وقد تحدث مفتي القاهرة أمام جمع صغير بمسجد متواضع في حي بلكور، ولم يخطر ببال أحد على ما يظهر أن ذلك العالم المفسر كان باعث النهضة السياسية والدينية، والثقافة الإسلامية[2]"

وقد زار أحد الصحفيين المصريين الجزائر مطلع القرن العشرين، وأفزعه وضعها العلمي، وتقهقر الفصحى فيها، فكتب: "إن حالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاملات، بل ربما تندرس العربية بالمرة مع مضي الزمن، فلا الحكومة تسعى في حفظها، ولا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح مدارس"[3].

هكذا إذن حارب الاستعمار اللغة والثقافة العربية، وضيق عليها الخناق في عقر دارها، في حين وفر كل الظروف لتعميم استعمال الفرنسية في جميع الميادين، وفرضها بمنطق القوة، والقوانين التي سنها. ولكن على الرغم من هذا فإن الشعب الجزائري عرف بالتحدي، فقد تخبو فيه جذوة المقاومة، ولكنها تعود إلى الظهور بهبوب أول نسمة عليها، فبمجرد نهاية الحرب الكونية الأولى، وما رافقها من أحداث، شعر الجزائريون ببصيص الحرية، وبدأت ردّات الفعل في وجه محاولات المسخ والتشويه على أكثر من صعيد، واتخذت أنواعا من المظاهر، واعتمدت فنونا من الوسائل المتكيفة حسب الظروف، تبرز حينا في الاعتراض القانوني المهذب، الذي أثبت الجزائريون من خلاله أنهم شعب متحضر عكس ما يدعي الاستعمار، ومرة تبرز ردات الفعل في الصدام المسلح تمثل فيما وقع من ثورات، وتارة أخرى تتجلى في إنشاء الجمعيات الدينية والسياسية التي اعتمدت على وسائل مختلفة في المقاومة.

---

[1]– ا لشهاب، مجلد 10 مارس 1934، و سلمان نور: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص57،58.

[2]– شارل أندري جوليان: أفريقيا الشمالية تسير، الدار التونسية للنشر، 1976، ص125.

[3]– الشهاب، مارس 1934، وسلمان نور: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص58.

المحاضرة الثانية: عوامل النهضة الأدبية في مطلع القرن العشرين

ترجع أصول النهضة في أدب المغرب العربي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر وقد كانت هذه النهضة الأدبية مرتبطة بالمشرق العربي. وقد بدأت هذه بسبب عدة عوامل أهمها:

1- حملة نابليون على مصر سنة1798 م بما حملته من لمسات حضارية ، كالطباعة ، وما صحبها من علماء ومهندسين وما أقامه من تنظيمات إدارية[1].

2- عهد محمد علي باشا (1769-1849) عندما تولى السلطة على مصر بعد خروج الفرنسيين منها سنة (1801) ، ومبادرته بإرسال البعثات التعليمية إلى أوروبا ، إلى إيطاليا سنة 1813 ثم إلى فرنسا سنة 1825. حيث اتجهت أول بعثة صحبها إمام شاب هو: رفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873). وهو يعد من أعلام النهضة الحديثة.

3- حركة الاستشراق وما قدمته للغة واالأدب العربيين .

أما في الجزائر فإن عهد النهضة لا يختلف زمنيا عن المشرق، وإن كانت هناك فروق واضحة في التأثر بالنهضة الأوروبية لأسباب أهمها:

أ- إن الاحتلال في مصر لم يكن مدمرا ، ولم يعمر طويلا (13)سنة ، وحمل معه مشاريع نهضوية ثقافية و تنموية، أما في الجزائر فقد حمل الاستعمار الحقد والدمار لكل شيء أرضا وإنسانا وثقافة، كما حمل مشاريع التوطين والتمكين في الأرض للأوربيين، -ولم تظهر بعض المحاولات الثقافية إلا بعد نصف قرن من الاحتلال إرضاء شكليا لبعض المستنيرين الجزائريين بتحقيق بعض الآثار وطبعها ونشرها.

ب- ثم إن التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب كان على أساس من السيادة بعد جلاء المحتلين (عن المشرق) فقامت النهضة بتدبير دولة وطنية، وهو عنصر كان غائبا في الجزائر، فقد كان الاحتلال قائما -ولم تكن الدولة الجزائرية كذلك- فكان عامل ضعف للوطن في كل شيء، فعم الدمار الإنسان والأرض التي سلبت من أصحابها ، وبدأت تشيع الأمية بعد ما كان التعليم سائدا قبل ذلك.

---

[1] - ينظر: عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2009ص9.

وإذا كان لابد من تسجيل جانب إيجابي للاحتلال، فهو الذي أيقظ الجزائريين من سباتهم، وأخرجهم من غفلتهم،فاكتشفوا فجأة الذلة تحت العيش النصراني، والصدام بين حضارتين، حضارة غازية وأخرى مغزووّة، فأحدثت الصدمة ردّ الفعل الوطني أمام الاحتلال وفيالق جيشه من عساكر و مستشرقين ومبشرين فبقي رد الفعل الوطني غير مسالم، وكان رد الفعل هذا ذا وجهين:

1- سلبي تمثل في الهجرة إلى الخارج

2- إيجابي تمثل في المقاومة المسلحة والمقاومة الثقافية (الفكرية) ذات الطابع الديني خاصة في الزوايا التي استطاع الاستعمار أن يروّضها مع مرور الوقت ويجعلها في خدمته بعد أن استولى على الأوقاف، فباتت الشؤون الدينية تحت سلطته، وأحكم قبضته على الوطن خصوصا بعد هزيمتي (أحمد باي والأمير عبد القادر على الرغم من أشكال المقاومة المشتتة في الصحراء والشرق والغرب والشمال في مختلف المراحل النضالية في القرن التاسع عشر ، أو في القرن العشرين حتى توجت تلك الثورات والانتفاضات وضروب النضال بثورة 1954، التى وضعت حدا للوجود الاستعماري سنة1962.

و بقيت الجزائر طيلة 132سنة – رغم كل محاولات التشويه والمسخ- مرتبطة بمجالها الحضاري العربي الإسلامي، خصوصا من الناحية الثقافية الأدبية وقد: " كان الأدب بخاصة والحياة الثقافية بعامة يعيشان تحت تأثير الأدب والحياة الفكرية في المشرق بصفة عامة سواء قبل الاحتلال أو بعده، لكن الاحتلال كان من طبيعته أن يشل الحياة الثقافية فعرف التعليم خاصة تدهورا وانحطاطا في المستولى بعد أن عرف تقلصا شرع ينحدر بسرعة سواء في عدد مراكز التعليم ودور العلم أو في عدد المعلمين، فتمكن اليأس من النفوس وبقيت الزوايا مراكز ثقافية يهرع إليها المتعطشون للثقافة العربية الإسلامية"[1].

ويرجع هذا لمكانة هذه الثقافة الدينية في النفوس وتأثيرها الروحي، على الرغم من كونها لم تسلم من مضايقات الاحتلال وعمله الدؤوب لتحييدها والهيمنة عليها بمختلف وسائل الإرهاب والإغراء، ليقتصر التعليم على القرآن وعلوم الين في إطار جامد.

ولئن كان هذا الوضع قد طال، وخطة الاستعمار قد نجحت، فإن دوام الحال من المحال –كما يقول المثل- إذ سرعان ما بدأ العملاق النائم يتململ، بعد ظهور عوامل سياسية، واجتماعية

[1] – عمر بن قينة: الديسي حياته وآثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1980م، ص10.

وثقافية أعطت تباشير عن حدوث نهضة شاملة، وقد تمثلت هذه النهضة في بروز سياسيين ومصلحين حاولوا لمّ شمل الشعب وذلك: " بتجميعه، وتوجيهه وجهة واحدة، وعمل المصلحون للقضاء على الشعوذة والمتاجرة بالعقول والعواطف، كما ساعدت الآمال المشتركة على تقوية الإحساس بالوحدة الوطنية، وبغض الاضطهاد بكافة ألوانه".[1]

وعلى صعيد آخر عاد الطيب العقبي سنة 1920 من الحجاز إلى الجزائر،" وقد ظل العقبى في بسكرة ومنها كان يبث أفكاره عن النهضة العربية والجامعة الإسلامية والإصلاح الديني والاجتماعي، والتفّ حوله جماعة من الأدباء والمصلحين مثل الشاعر محمد العيد آل خليفة، وقد اشتركوا في إنشاء جريدة (صدى الصحراء) سنة 1926 في مدينة بسكرة" [2].

وكان للكلمة الفنية صوت مسموع في هذا المضمار، فالأديب حامل الثقافة كان الضحية الأولى للمأساة، فهو العدو اللذود للمستعمر يفسد عليه خططه، ويفضح نواياه ولهذا: "طغت على الشعراء، وهم مقياس الإحساس القومي موجة من التشاؤم، والقتامة والتذمر، والشكوى حتى أنك لتعجب وأنت تتصفح تراجمهم بأقلامهم في(شعراء الجزائر) "[3].

بيد أن موجة اليأس التي سيطرت على الشعر الجزائري في العشرينيات بدأت تتلاشى بعد تأسيس جمعية العلماء التي انضوى تحت لوائها جل الشعراء، فقد أخذت الحركة الإصلاحية منذ 1931 تسجل الانتصار تلو الانتصار في الميدانين الاجتماعي و الثقافي، فقد" أسسوا المدارس العربية الحرة، والنوادي الثقافية، والمجلات الأدبية، وحاربوا الأمراض الاجتماعية مثل الخرافات الغليظة"[4].

هذا المجهود كان له الأثر المباشر في بعض الشعراء الذين دبّ فيهم روح الأمل، فأخذوا يتخلون عن كآبتهم ويأسهم إلى ويفضلون التغني بهذه الجهود التي أخذت تحققها جمعيتهم، وعن هذا التحول يقول محمد العيد آل خليفة:"كنا إلى أمد غير بعيد ننظر إلى هذه الحياة الدنيا في هذه البلاد الجزائرية نظرة الآسف الكاسف...أما اليوم، واليوم غير الأمس، أما اليوم وقد بدت طلائع

---

[1]– نصر الدين بن زروق:الأسلوب في شعر محمد العيد آل خليفة (رسالة ماجستير،غير منشورة)، جامعة الجزائر 1995–1996 ، ص20.

[2]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2،ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981،ص416.

[3]– صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص17.

[4]– أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 419.

النهضة وطوالعها في الجزائر، وتجلى فيها نور نهار الإصلاح، وأشرق مدّ نور العلم، وأصبحنا بفضل الله نستقبل عصرا جديدا، ونبعث من مراقدنا بعثا جديدا..."[1].

من غير شك أن محمد العيد في هذا النص يشير إلى التطور الذي بدأت بواكيره تظهر على الحياة الاجتماعية، والثقافية بفضل جمعية العلماء المسلمين.

هذا التغيير لم يكن خافيا على أحد، فقد يراه الذي يذهب إلى الجزائر العاصمة كعينة عن هذا النشاط، أو يلمسه من حديث العامة، وقد أكد هذه الحقيقة مالك بن نبي حين عاد من فرنسا، بمجرد حديثه مع الشيال الذي يحمل حقائبه، وبمجرد رؤيته لافتة نادي الترقي بالعاصمة، تلك اللافتة "المكتوبة بالخط العريض التي لا تعني إلا شيئا واحدا هو أن موجة الإصلاح قد وصلت إلى هنا،وأيقنت أن هذا التغيير البسيط ستتلوه تغييرات جذرية" [2] .

هذا هو الوجه الجديد للحياة الاجتماعية بعد تأسيس جمعية العلماء وبداية جهودها في الإصلاح الجذري لحال الأمة التي بدأت تجتاز أدق وأصعب مراحلها إلى الحياة الحرّة الكريمة.

بعض أعلام النهضة الجزائرية

1- عبد القادر المجاوي: (1848-1914).

ولد في تلمسان سنة 1848 حيث درس، ثم انتقل إلى المغرب لمتابعة دراسته في فاس وطنجة، ثم انتقل بعد ذلك إلى القرويين، عاد بعد ذلك إلى الجزائر واشتغل بالتدريس في المدرسة الكتانية والثعالبية بالإضافة إلى النشاط في المساجد، عُين إماما في 1908 بمسجد سيدي رمضان بالعاصمة، وبقي في قمة نشاطه إماما قديرا، وأستاذا متمكنا ومؤلفا نشيطا، ورجل لإصلاح في جميع المجالات، وقد تخرج عليه أعلام في الثقافة والتعليم أمثال: حمدان الونيسي أستاذ الإمام ابن باديس، وكذلك المولود بن الموهوب وغيرهم. وقد كان من العاملين على رقي اللغة العربية ونصاعة الدين الإسلامي ومن المصلحين المتصدين للآفات والخرافات، توفي المجاوي في قسنطينة سنة1914م تاركا آثارا في اللغة والنحو منها[3]:

---

[1]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه، ص، 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006، 89،90.

[2]- مالك ابن نبي : مذكرات شاهد القرن(الطالب)،دار الفكر بيروت (د،ت)، ص82.

[3]- ينظر: عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا، وأعلاما، ص42.

أ- إرشاد المتعلمين وهو كتاب في اللغة والبلاغة.

شرع منظومة البدع. وهي منظومة ألفها تلميذه وصديقه المولود بن الموهوب، فاتخذ الشرح وسيلة للإصلاح.

ج- القواعد الكلامية في التوحيد ومسائله.

2- الشيخ أبو القاسم الحفناوي (1852-1942).

وهو صاحب كتاب: تعريف الخلف برجال السلف الذي يعد من أهم كتب التراث الفكري الجزائري الحديث، وهو كتاب حافل بقائمة طويلة من أعلام الفكر والثقافة والأدب والدين، بلغ عددهم 418 علما، مع نصوص ذات أهمية[1].

3- محمد بن أبي شنب (1869-1929)

هو شخصية ذات تمييز فكري، وهو مؤلف وباحث جامعي بلقبه العلمي دكتور، الذي أحرزه برسالتين في جامعة الجزائر: الأولى عن الشاعر العباسي، أبو دلامة، والثانية عن الألفاظ التركية والفارسية في الدارجة الجزائرية.

كما شارك في الحركة الثقافية والأدبية مشاركة نشيطة بمقالاته وأبحاثه وتحقيقه لبعض الآثار وبمحاضراته المختلفة، فأسهم في انتعاش الحركة الأدبية في الجزائر، فتجاوز صوته نطاق المحلية في المؤتمرات الفكرية الدولية مبقيا اعتزازه بانتمائه العربي الإسلامي، على الرغم من عمله في محيط فرنسي وبرعاية فرنسية لبعض جهوده طبعا و نشرا[2].

4- محمد بن عبد الرحمان الديسي (1854-1921).

ولد في قرية الديس وتعلم فيها، كما تابع دراسته في زاوية (ابن أبي داود)قرب آقبو ولاية- بجاية- وعلّم في زاوية الهامل قرب بوسعادة -المسيلة- ابتداء من 1887م حتى وفاته. فكان محيطه دينيا طرقيا، لذا غلب على شعره المديح في ديوانه (منّة المنّان الحنان) الذي لا يزال مخطوطا وهو في مدح الرسول (ص) وآله ثم مديح لمشايخ زاوية الهامل بالخصوص، وفي

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص45

[2]- المرجع نفسه، ص نفسها

مقدمتهم مؤسسها الأول الشيخ محمد بن أبي القاسم (1823 –1897)، متبوعا بشعره في التهاني والإخوانيات والرثاء والغزل[1].

5– عمر بن قدور الجزائري: مولود في الجزائر عام1887 ومتوفي بالجزائر عام:1930[2].

هو أبو حفص عمر بن قدور الأصلع ، ولد في الجزائر وتوفي فيها. تلقى تعليمه في الكتّاب حيث حفظ القرآن الكريم والمتون العربية، وأكمل تعليمه بالمدرسة الثعالبية، فنال إجازتها العليا حسب نظامها الدراسي الذي يجمع بين المناهج الأصلية والحديثة. اشتغل في الصحافة وسخر قلمه للدفاع عن وطنه وانتمائه العربي الإسلامي، كما سخره للدفاع عن أمته الإسلامية.

وهو من رواد الصحافة في الجزائر، فأنشأ جريدة الفاروق سنة1913 التي كان من بين شعاراتها:

قلمي لسان ثلاثة بفؤادي ديني ووجداني وحب بلادي.

كما تولى تحرير جريدة الصديق، وكتب في جرائد العالم الإسلامي منها (الحضارة) في الأستانة، واللواء والمؤيد بمصر سنة1914. ثم اعتزل العمل الصحفي بعد أن نفاه الاستعمار إلى الأغواط جنوب العاصمة لأنه كان من المناوئين، ومن رواد الإصلاح الديني والوطني.

وهو الرجل الطموح الذي دخل عصره بآرائه وأفكاره التي تضمنت كثيرا من التصورات مثل الدعوة إلى إنشاء جماعة التعارف الإسلامي في أفريقيا سنة 1914م، وتأسيس شركات اقتصادية وجمعيات خيرية ونوادي أدبية ومدارس حرة سنة1920. وأقام مدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة سنة 1923.

وقد كان صوتا وطنيا مخلصا ومؤثرا يؤمن بانتسابه الحضاري الإسلامي يتأثر لما يصيب الأمة ويعبر عن ذلك. يقول عندما سقطت الخلافة الإسلامية سنة1924:

أيا قومي ما تحلو لقلبي حياته وقد دوّخ السمحاء هول فناها

بكائي عليها لا على الخل والحمى وخوفي عليها لا أريد سواها

أضيّعت فضاع المجد منآ ولم نكن شدادا وقد هم القضاء لقاها[3]

---

[1] – المرجع السابق، ص47.

[2] – عبد الملك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص112.

[3]– عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ص51.

و مهما يكن فقد مثل هذان الشاعران (الديسي وعمر بن قدور) إلى جانب المجاوي الحفناوي وابن أبي شنب فترة الخروج من الغيبوبة إلى إرهاصات جديدة واعدة بحركة ثقافية أدبية نشيطة في مناخ سياسي جديد. ويبقى الشاعران محمد بن عبد الرحمان الديسي وعمر بن قدور وغيرهما من بين الشواهد البارزة على تلك الفترة من مسيرة الحركة الأدبية في الجزائر أسسوا لانتعاش سرعان ما شرع يتجسّد بحيوية جادة في الحركة الأدبية ابتداء من العشرينيات في القرن الماضي.

6- عبد الحميد بن باديس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)

لقد بعث الله للجزائر رجلا عقائديا مصلحا هو الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي نذر حياته لبعث النهضة القومية والثقافية في الجزائر مع مجموعة من كبار العلماء والأدباء والشعراء، وقد أسفرت مجهودات هذه الجماعة عن تأسيس جمعية العلماء، وكانت مبادئها ومواقف أعضائها ونشاطهم يعطي صورة واضحة عن التمسك بثوابت الأمة الجزائرية، ورفض الإدماج والاحتلال باسم الثلاثي المقدس: الدين والثقافة والوطن" فكانت أعمالها المطبوعة بطابع تربوي تثقيفي مدخلا إلى موقف سياسي" [1].

وقد تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في شهر ماي1931 بنادي الترقي بالجزائر العاصمة، وتولي الإمام ابن باديس رئاستها حتى وفاته سنة 1940، وقد كانت مرجعية أصحابها مستمدة من حركة محمد عبده الإصلاحية.

وكان دورها طلائعيا رياديا لم يسبق له مثال في تاريخ الحركة الوطنية ويتمثل ذلك في:"إثارة النخوة الوطنية، والعزة القومية، وتنمية الوعي الديني والاجتماعي، فأثرت الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية بمفاهيم مازالت تمد الحياة الجزائرية بمدد لا ينفذ من الطاقة الحية والإدراك السليم للأمور" [2].

وقد اتفق أعضاؤها على إخفاء البعد السياسي والثوري وراء المقاصد الدينية والثقافية المعلنة في قانونهم الأساسي، وقد كان نشاطهم في المجال الاجتماعي والديني هو بعث نهضة فكرية دينية قائمة على القرآن، والسنة النبوية وهدي السلف الصالح، وفي المجال السياسي تهدف إلى

---

[1]- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 130.

2- رمضان محمد الصالح: (جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي)،مجلة الثقافة،وزارة الثقافة والسياحة الجزائر عدد 83 ، سبتمبر أكتوبر 1983،ص359-360.

بعث شخصية وطنية أصيلة لا تتأثر بتيارات التغريب. وقد ركزت أعمالها منذ تأسيسها إلى قيام الحرب العالمية الثانية في العمل على تثقيف الشعب بجميع فئاته، وتوعيته دينيا واجتماعيا، ويمكن تحديد أهم ما تركز عليه الإصلاح لدى جمعية العلماء في العناصر الآتية:

1-التعليم

على الرغم من الحرب الشرسة التي شنها الاستعمار على الثقافة العربية في الجزائر، وبالرغم من قلة الإمكانيات المتاحة لأصحابها وندرة وسائل المحافظة عليها، فقد حافظت على مكانتها في نفوس الجزائريين وذلك لأن "الأمة الجزائرية كانت من الحصانة اللغوية والوطنية ما لم تكن من السهولة واليسر أن يؤثر فيها وجود الاستعمار ولو دام قرونا طويلة"[1].

كما يعود الفضل في صمود هذه اللغة في وجه رياح الاستعمار العاتية إلى اهتمام جمعية العلماء بإنشاء المدارس الحرة،"وقد بلغ عدد المدارس التي انتظمت في سلك الجمعية ما يزيد عن مائة وخمسين مدرسة، يقوم بالتعليم فيها بضع مئات من المعلمين والمديرين أما عدد التلاميذ فقد أربى عن 50 ألفا"[2].

وقد كان للشاعر محمد العيد آل خليفة دور كبير في الدفاع عن اللغة العربية، سواء من خلال تدريسه لها بالمدارس التي أنشأتها جمعية العلماء وهو طرف فيها، أومن خلال ما كان يدبجه من مقالات ينشرها في الصحف و الجرائد، أومن خلال القصائد الغرّ التي كان يلقيها مطلع كل مناسبة في الأندية والمدارس.

وقد اهتمت هذه المدارس بتعليم وتربية البنين والبنات اللغة العربية والدين الإسلامي ومبادئ العلوم والمعارف الأخرى، كالتاريخ والحساب والجغرافية لمن لم يكن لهم حظ في التعليم الرسمي.

كما قامت جمعية العلماء ببناء المساجد الحرّة – بعدما تم منع رجالها من التدريس في الجوامع الرسمية التي تشرف عليها الإدارة الاستعمارية اللائكية- لتعليم الكبار، وتثقيفهم دروس الوعظ والإرشاد، حتى يتفقهوا في دينهم، ويتعلموا لغتهم، وتاريخ بلادهم ليتمسكوا به .

وقد كانت الجمعية تهدف في حركتها التربوية إلى مرامي بعيدة هي تكوين جيش صالح وقائد في الجزائر يعمل على إحداث النهضة، وقيادتها في الطريق الصحيح الذي يؤدي إلى تحرير

---

[1]- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(د.ت)، ص17.

[2]- رمضان محمد الصالح: (جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي) مجلة الثقافة، ص359-360.

البلاد. ولطالما حاولت السلطات الاستعمارية عرقلة جهود جمعية العلماء لمنعها من أداء دورها، بوضع القوانين منها: "القانون الذي صدر عن وزير الداخلية الفرنسي ويقضي بتعطيل جريدة السنة لسان حال الجمعية"[1].

كما تم منع أعضاء الجمعية من إلقاء الدروس في المساجد، وتم منع تعليم القرآن، واللغة العربية إلا برخصة من السلطات الاستعمارية، فقد"طلب من ابن باديس أن يقدم رخصة تتيح له التدريس بالجامع الأخضر مع العلم أنه كان يمارس هذا العمل منذ سبعة عشر عاما خلت ولم يطلب منه تقديم هذه الرخصة" [2].

وعلى الرغم من هذه العراقيل فإن الجمعية استطاعت أن تؤدي رسالتها كاملة "حتى أن كثيرا من المؤرخين يعتبرون جمعية العلماء المسلمين المعول الأول الذي وجه الضربات الأولى لصرح المستعمرين في الجزائر" [3].

وقد استطاعت جمعية العلماء في وقت قصير أن تقوم بنشاط واسع يغطي معظم التراب الوطني في تحقيق الأهداف التي تصبو إليها، كما أثمرت جهودها في تكوين الجيل الذي يتولى القيادة عبر أنحاء الوطن " فكان عماد النهضة وطليعة المناضلين من أجل تحرير البلاد من المستعمر" [4] .

2- الصحافة

لقد أدرك زعماء الإصلاح في الجزائر ما للصحافة من أهمية في تنوير الرأي العام وبث الوعي الاجتماعي والقومي والسياسي فأسسوا صحفا "كانت مدرسة كبرى للوطنية، ومصلحا عظيما للمجتمع، ومثقفا كفءً للشعب، ومنبرا للخطباء والأدباء، ولعبت دورا كبيرا في إحياء اللغة، وإعطائها المرونة والحيوية"[5] .

وكانت هذه الصحافة من بواعث النهضة الشاملة التي شهدتها الجزائر في العقود الأولى من القرن العشرين، فضلا عن دورها الكفاحي والبطولي في معركة التحرر الوطني.

---

[1]- عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة: ط1،ج1، دار البعث قسنطينة1991،ص143.

[2]- المرجع نفسه، ص143.

[3]- المرجع نفسه ،ن ص.

[4]- أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984 ، ص 45.

[5]- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 432.

ومـن أشـهر تلـك الصـحف (الشـهاب) التـي أصـدرها الإمـام ابـن بـاديس وأتباعـه فـي 1925/11/12، وكانت من أهم الوثائق التي حافظت على الشخصية الوطنية " وقد استطاعت خلال خمس عشرة عاما، والتي كان يديرها ابن باديس، استطاعت أن تظهر للوجود، وان تحدد لها نظرية اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية، وكان للشهاب مكانة عالمية ليس فقط في الجزائر، بل وفي مصر وسوريا»[1].

ومن هذه الجرائد جريدة البصائر التي صدر أول عدد منها بالجزائر العاصمة يوم الجمعة 1935/12/27، وانتقلت إلى قسنطينة بعد أربع سنوات، وكان لها دور كبير في الدفاع عن العروبة والإسلام.

وكانت تلك الصحف منبرا للأدب الذي صور أحداث ومآسي الشعب الجزائري في تلك الفترة المظلمة من تاريخ الجزائر، ولمعت أسماء كتاب وشعراء كبار في مجال الكفاح من أجل الحفاظ على الجزائر عربية مسلمة، ومن هذه الأسماء اللامعة في فن المقال: ابن باديس، الإبراهيمي، الطيب العقبي، العربي التبسي. وفي مجال الشعر نجد : مفدي زكريا، رمضان حمود، إبراهيم أبو اليقظان، السعيد الزاهري، ومحمد العيد آل خليفة الذي كان له دور كبير في النضال الصحفي، حيث كانت قصائده تتصدر الصفحات الأولى معبرة عن مختلف الأحداث الوطنية، وكمثال على ذلك محاولة الاغتيال التي تعرض لها الإمام بن باديس من طرف بعض المرتزقة في بداية جانفي 1927، وأمام هذا الحدث الجلل" صدح الشيخ محمد العيد بقصيدة توشحت عنوان (حمتك يد المولى) نشرت في العدد الأول من الشهاب الصادرة في 27 جانفي 1927"[2]. وظل ينشر شعره فيها.

أما صحف الجمعية فقد أخذت حصة الأسد من الأعمال الإبداعية للشعراء لاسيما البصائر في سلسلتها الأولى (1935 – 1939) والثانية التي استمرت في الصدور من (1949 إلى 1956) وفيها لا نعثر على شعر محمد العيد فقط بل نجد له مقالات نثرية.

---

[1]– سعاد محمد خضر:الأدب الجزائري المعاصر،المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1967، ص 51.

[2] – فوزي مصمودي: (محمد العيد آل خليفة الوجه الآخر لنضاله الصحفي)، البصائر سلسلة 4 ،سنة 6، عدد 264 ، 28 نوفمبر إلى 5 ديسمبر 2005 ، ص10.

ونظرا للدور الريادي الذي لعبته الصحافة، فقد واجهت عقبات كثيرة كانت تخلقها السلطات الفرنسية لعرقلة ظهور وانتشار الصحف حيث كانت "توقف أية صحيفة لا ترضيها لهجتها واتجاهها، وكان سيف الرقابة مسلطا على أصحاب الصحف العربية"[1].

ومن المضايقات التي تتعرض لها الصحافة ما ورد في جريدة الصراط معللا تأخرها عن القراء بعنوان: قانون جديد "يوجب على مدير الصحيفة أن يقدم طلبا مع نسختين من جريدته لمدير البريد طالبا منه الإذن بتوزيعها، ومدير البريد لا يأذن بتوزيع الجريدة إلا بعد جواب وكيل الحق العام بكون هذه الجريدة قائمة بواجب القانون الصحافي، ولانتظار هذا الإذن من مدير البريد قد تتأخر الجريدة أياما" [2].

وإن المتصفح للإحصائيات الكثيرة التي أوردت عدد الصحف الجزائرية التي كانت تصدر ثم تصادر بعد عددين أو ثلاثة ليدرك مدى تضييق الاستعمار للخناق على الصحافة العربية الجزائرية، كما يدرك ثبات الجزائريين واستماتتهم في المقاومة القلمية، ففي سنة 1934 نشرت جريدة الأمة للشيخ أبي اليقظان إحصائية بعيدة الدلالة في تجسيم استماتة الشعب الجزائري في كل ما من شأنه أن ينهض بدينه،"وهذه الإحصائية تؤرخ لثلاثين سنة تمتد من (1904 إلى 1934) وتعدد ما صدر فيها من جرائد عربية وأسس من مدارس ومعاهد ونوادي، ولن اعمد إلى سرد الأسماء وإنما اكتفى بالأرقام"[3].

33 جريدة ومجلة.

18 جمعية.

14 ناد.

150 معهد ومدرسة.

ويصف الدكتور إحسان حقي حالة هذه الصحافة قائلا: " إن حرية الصحافة مصونة في بلاد الجزائر ما دامت هذه الصحف تسبح بحمد فرنسا، وما دامت تصدر باللغة الفرنسية، وأما إذا

---

[1]– أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر، ص55.

2– مجلة الصراط: دار الغرب الإسلامي، عدد 3، الاثنين، 25 مارس 1933.

3– صالح خرفي: شعراء من الجزائر، (الحلقة الأولى)، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات 1969، ص19.

كانت صحيفة عربية، أو أرادت أن تقول الحق فسيف الظلم مسلط عليها، ولا تعدم الحكومة ألف حيلة للقضاء على صحيفة أو على صاحبها أيضا"[1].

ولكن هذا الاضطهاد لم يكن ليثني الجزائريين عن عزمهم وتصميمهم حتى أن بعض الصحف كانت تطبع بتونس وتوزع بالجزائر.إن هذا لهو التحدي الصحيح لكل مناورة استعمارية "فلا يتوارى المشروع باسم حتى يطالعنا بآخر، ولا تختفي الجريدة (منتقدا) حتى تعانقها (شهابا) ولا نفتقدها (نورا) حتى تفاجئنا(نبراسا)" [2].

وأصبحت ظاهرة صدور الجريدة أو اختفاؤها السريع لا تلفت حتى النظر عند محمد العيد "وهو يتحدث إلى القراء متقمصا مجلة الشهاب بعد احتجاب المنتقد سنة 1926 "[3].

خليا عنكما حديث احتجابي عرجا بي إلى العلا، عرجا بي

فلئن رحنا غيلة لافتراءات فإني قد أبت خير مآب

وتفاديا لشر الاستعمار لجأ العديد من الكتاب بهذه الصحف إلى استعمال الحيلة للإفلات من الرقابة، فينشرون مقالاتهم وأشعارهم بأسماء مستعارة.

3- الأندية و المراكز الثقافية والجمعيات

بالإضافة إلى الدور الريادي الذي لعبته الصحافة في النهضة الفكرية، هناك النوادي الأدبية والجمعيات الثقافية، فبين سنوات (1890 . 1914) كان هناك عدد من هذه المراكز التي كانت تؤدي وظيفة المدرسة، وخلوة الأحاديث وتعد ملتقى اجتماعيا للرياضة، والإسعاف والكشافة ومقرا للنشاط السياسي. وأكثر أسماء هذه المراكز تدل على روحها وبرامجها ونشاطها مثل: التوفيقية، ودادية العلوم الجديدة، نادي التقدم، نادي الشباب الجزائري، نادي الاتحاد، الرشيدية، نادي صالح بأي.

ومع بداية العقد الثالث من القرن العشرين، حين دعا ابن باديس إلى اليقظة العلمية والثقافية، وإلى إنشاء المدارس ونشر التعليم، و إلى بناء مجتمع جزائري عربي مسلم له كيان قوي – أمام هذا الوضع – ظهرت الحاجة إلى الاجتماعات و إلى منتديات تأوي إليها النخبة، وإلى

---

[1]- أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر،ص55.

2- صالح خرفي: شعراء من الجزائر (الحلقة الأولى)، ص20.

3- المرجع نفسه، ص19.

خلايا تساعد على التنظيم الداخلي للشعب، بناء على هذه الحاجة أنشأ العلماء الأندية والمراكز الثقافية: "ففي سنة 1934 كتبت جريدة (لالوت سوسيال) الصراع الاجتماعي عدد 1- 15 جوان تقول: إنه لا يوجد مكان في الجزائر لم ينشئ فيه العلماء منظمة بطريقة أو بأخرى"[1].

وهذه النوادي كثيرة لا يمكن الحديث عنها بالتفصيل، وإنما نكتفي هنا بالحديث عن أهم المراكز التي عرفت نشاطا أدبيا كبيرا في تلك الفترة.

أ . نادي الترقي

هذا النادي هو أول نادٍ أنشئ على النظام الحديث، وكان له من الاتساع، وحسن الإدارة ما جعله يسهم بدور فعال في تاريخ الجزائر الحديث "فقد احتضن الحركة الوطنية منذ 1927 حيث عقدت فيه المؤتمرات الهامة، وانبثقت عنه كثير من الأفكار الوطنية، كفكرة جمعية العلماء، والمؤتمر الإسلامي، ومشروع البصائر"[2].

وقد كان هذا النادي ملتقى السياسيين، وجمهور العلماء "وكان ابن باديس يلقي المحاضرات في هذا النادي كلما مرّ بالجزائر العاصمة، كما كان النادي مركز لقاء الطبقة الجزائرية المثقفة، والزائرين الأجانب، ولا سيما من الشرق الأدنى" [3]. إلى جانب ذلك كان محجة الأدباء والشعراء تلقى فيه الخطب الحماسية، والقصائد الرائعة "ومن الأدباء والشعراء الذين لمعوا فيه وذاع صيتهم منه محمد العيد الذي قال فيه"[4]:

صفت بساحتك الوجوه وردت فيك الحكم
فرأيت ما يجلو العمى وسمعت ما يجلو الصمم
ودخلت ظلك أستجير به و أنعم من أمم
واتيت ميدان اللسان به و ميدان القلم[5]

"ويمكن اعتبار هذا التكتل الجماعي في تلك النوادي والجمعيات نواة للتكتل الجماعي الأكبر في وطن واحد تشكل الثقافة الوطنية فيه قاسما مشتركا بين أبنائه "[6].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2، ص423.

2- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 116.

3- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص423 – 424.

4- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص116.

5- محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص99.

6- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص160.

وتتجلى مكانة هذا النادي ودوره في النهضة الأدبية آنذاك في هذا القول لعبد الملك مرتاض " لا يغالي الباحث في جوانب نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر أثناء العقد الرابع من هذا القرن أن يعدّ نادي الترقي بالجزائر، بل في مجموع الوطن كعكاظ في الجاهلية في جزيرة العرب، و كالمربد في البصرة أثناء القرن الأول الهجري" [1].

ويعد ديوان الشاعر محمد العيد آل خليفة بما تضمنه من قصائد في هذا الشأن خير شاهد على ذلك فهو يحتوي على كثير من القصائد التي ألقاها في مناسبات وطنية أو دينية في النوادي أو الجمعيات وعلى سبيل المثال القصائد الواردة في الصفحات(247- 250- 258).

ولم يكن دور هذا النادي يقتصر على المسائل الدينية أو الاجتماعية الإصلاحية كما يعتقد البعض، بل كان يتخطى ذلك إلى القضايا السياسية كما يتجلى من خلال تصريح مؤسسه أحمد توفيق المدني: "لم يكن الجزائريون يعرفون الاجتماعات منذ الاحتلال الفرنسي، وكانت قوانين(الانديجينا) تحرم الاجتماعات، فكانت كل الحركات الجزائرية تتسم بقلة النظام، إلى أن وفقنا الله لوضع معقل بعاصمة الجزائر كان له تأثيره العظيم على الحياتين السياسية والاجتماعية، وذلك هو نادي الترقي الذي تمكنا من تأسيسه بعد جهود عظيمة" [2] .

ب- مركز قسنطينة

لا شك أن أول ما بعث الحركة الثقافية بهذه المدينة هو نادي (صالح باي) كما عبر عن ذلك محمد الهادي الزاهري، وهو بصدد الترجمة للشيخ محمد المولود بن الموهوب "إنه لم يأل جهدا في بث العلم بين طبقات الأمة بجد ونشاط إلى أن تأسس نادي (صالح باي) فكان أحد المؤسسين له، ولئن سألت عما كان يلقيه فيه من المسامرات الأدبية والاجتماعية وغيرها فدونك من حضروا ذلك، بله هؤلاء وراجع أعداد جريدة (الديبش القسنطينية) و(كوكب أفريقيا) ففيهما الجواب الكافي"[3].

غير أن هذا النادي توقف عن النشاط مع نشوب الحرب العالمية الأولى فقد أشار إليه محمد العيد آل خليفة في محاضرة بعنوان (سير النوادي وحظ الجزائر منها) فقال: "فهل لنا معشر

---

[1]- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص33-34.

2- صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص 140.

3- محمد الهادي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج2 ، إعداد وتقديم عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطسنة، الجزائر، 2007، ص57.

الجزائريين من هذه النوادي حظ ونصيب؟ أما قبل الحرب الكبرى فلا، إلا ما وصلنا من نبأ نادي (صالح باي) بمدينة قسنطينة منذ زمان، وهو اليوم في خبر كان" [1].

و لا شك أن الحركة الثقافية بقسنطينة بعد الحرب العالمية الأولى مدينة لرائد الإصلاح الإمام ابن باديس الذي كان "يمضي نهاره في الدرس، وقد بلغ عدد طلابه سنة ثلاثة وثلاثين من هذا القرن العشرين و ثلاثمائة وستين طالبا، وكانوا جميعا يستمعون إليه ويحضرون دروسه التي كان يلقيها بالجامع الأخضر" [2].

وقد كان لابن باديس جهود لا تعرف الملل، فهو يعلم الصغار في الصباح والشباب في النهار، والكبار في المساء، في المساجد أو في النوادي، وعن طبيعة هذه الدروس، ورد في مجلة الصراط سنة 1933 إعلان مفاده "تفتح إن شاء الله الدروس الإسلامية بقسنطينة التي يقوم بها جماعة من جمعية العلماء المسلمين، تشتمل الدروس على تفسير الكتاب الحكيم وتجويده، وعلى الحديث الشريف، وعلى الفقه في المختصر وغيره، وعلى العقائد الدينية، وعلى الأخلاق الإسلامية، وعلى العربية بفنونها من نحو وصرف، وبيان ولغة وأدب، وعلى الفنون العقلية كالمنطق والحساب وغيرهما" [3].

وبالإضافة إلى ذلك ففي هذه المراكز كانت تناقش السياسة ويلقى الشعر، ويسمر الأدباء، وتقدم المحاضرات وتمثل المسرحيات.

ج- مركز تلمسان

بعد الثلاثينيات انتشرت نوادي كثيرة في كل أنحاء الجزائر خاصة بعد ظهور الأحزاب السياسية، وتنافسها على احتضان الرأي العام، فلم تعد تخل مدينة من نادٍ أو أكثر يرتاده المصلحون وغيرهم يناقشون فيه الشؤون الاجتماعية والثقافية والسياسية وقد قال الإبراهيمي " إنه كان لدى جمعية العلماء وحدها أكثر من سبعين ناديا تحمل رسالتها وتضم أتباعها" [4].

1- صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص 139.

2- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص41.

3- مجلة الصراط : العدد5، السنة الأولى، الاثنين 1933/10/16، ص3.

4- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، ج2،ص117.

ففي تلمسان كان (النادي الإسلامي، ونادي الشبيبة) وكان معا ميدانا للدعوة الإصلاحية والانبعاث القومي، والذي ندب لتنشيط الحركة الثقافية في هذه المدينة هو الإبراهيمي، وها هو يتحدث عن جوانب الحركة الثقافية التي كان يقوم بها في تلمسان حيث كان الإمام ابن باديس يكثر التردد عليها، يقول الإبراهيمي: " كان رحمه الله يشتد علي في اللوم، ويصمني بالتقصير في حق البصائر الأولى، فإذا زارني بتلمسان، ورأى الدروس تنتظم الساعات، وسمع درس التفسير بالليل، ودرس الموطأ في الصباح الباكر، ورأى إقبال الجماهير وتأثرهم ابتهج ابتهاج الظافر"[1].

كما كانت دار الحديث بتلمسان ناديا ثقافيا نشيطا يستقبل العلماء من الجزائر ومن غيرها، وبلا شك أنه كان للشعر حظ كبير في هذه الدار.

فمناسبة افتتاحها عدت حدثا تاريخيا هاما سنة 1937، ذلك الافتتاح الذي عُدّ مؤتمرا للحركة الإصلاحية، و أبى ابن باديس إلا أن يعتبره عيدا للنهضة الجزائرية: "فقد ألقى محمد العيد في الاحتفال بدار الحديث الذي استمر أسبوعا كاملا ثلاث قصائد هي (تحية دار الحديث، استوح شعرك، دعاك الأمل)" [2].

وتعتبر القصيدة الثانية (استوح شعرك) "رحلة عبر التاريخ الإسلامي العربي، وجولة في الجزائر الحديثة ،ودستور العمل الإصلاحي الوطني"[3].

وهي قصيدة مؤثرة، حركت أوتار القلوب، وهزت مشاعر المستمعين ويمكن اعتبارها من عيون ديوان الشاعر.

إن هذه النوادي والمراكز الثقافية كان لها شأن كبير في اليقظة الفكرية حيث كانت تحتشد بها الجماهير طالبة العلم، وكان لها الفضل في حفظ الثقافة العربية من رياح التغريب، وكانت المرتع الخصب للأدب الرفيع، ففيها تلقى الخطابة الرائعة، والشعر الجميل، والمقالة الشيقة ومن هذه الأندية انطلقت الإرهاصات الثورية التي حملت للشعب الجزائري بوادر الأمل بإشراق فجر جديد.

---

[1]– عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص 47.

[2]– محمد العيد آل خليفة: الديون، الصفحات (79 . 143 . 233).

[3]– صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص158.

د ـ الجمعيات الثقافية والخيرية: تنوعت الجمعيات، وتعددت، منها ما أنشاه الاستعمار لتكريس سياسته، ومنها ما أنشاه الجزائريون لتحقيق مرادهم وكانت في الغالب تقتصر على المهام الاجتماعية والدينية. وعن نشأتها يقول سعد الله: "بإمكاننا أن نزعم أنها قد سبقت النوادي في التكوين وبالخصوص تلك النوادي التي أشرنا إليها والتي كانت تحمل رسالة وطنية ضخمة"[1].

ومن هذه الجمعيات (التوفيقية والرشيدية)، فالأولى "ودية خيرية تهذيبية أدبية علمية، والثانية وطنية مؤلفة من قدماء تلامذة المكاتب العربية الفرنسية في الجزائر، بقصد نشر العلوم وبثها في عقول الأفراد، وتساعدها الولاية العامة وبلدية الجزائر بمبلغ له بال كل سنة"[2].

ويمكن التعرف بسهولة على أن هاتين الجمعيتين من صنع الاستعمار وتعملان بأوامره، لأن سلطاته تدرك مدى تعلق الجزائريين بلغتهم ودينهم، فهي تتظاهر بالعمل على ما يبدو خيرا للجزائريين في الظاهر ذرا للرماد في العيون.

وحسب ما جاء في مقال أبي القاسم سعد الله في جريدة الآداب اللبنانية سنة 1959 أن الجمعيات التي أسسها الجزائريون تنقسم إلى فرعين، الفرع الأول جمعيات للإصلاح، ونشر الثقافة وأعمال البر، والفرع الثاني جمعيات تخدم الآداب والفنون، غير أن أغلبية الجمعيات كانت من الفرع الأول حتمها وضع الجزائر آنذاك حيث كانت الحاجة ملحة إلى نجدة الشعب أخلاقيا وبدنيا أكثر من حاجته إلى النجدة في الذوق والوجدان[3].

ولهذا السبب كثرت الجمعيات الإصلاحية الخيرية وتألف منها عدد كبير في أهم المدن الآهلة، من ذلك (جمعية الشبيبة) بالعاصمة، والجمعية الخيرية التي يقول فيها الشاعر محمد العيد:

دامت لنا حرما آمنا وجامعة كبرى نلم بها الأحزاب والشيعا
خيرية تحت حزب ظل يكلأها في جانب الله لا خوفا ولا طمعا
على اسمها التف كالدوحات محتفلا وباسمها اقترح الخيرات و اقترعا

[1]– أبو القاسم سعد الله: (الجزائر رسالة النوادي)، مجلة الآداب، عدد 11 نوفمبر 1959، دار المعارف، بيروت، ص75.
[2]– صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص139.
[3]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: (الجزائر رسالة النوادي)، مجلة الآداب، ص 76.

روافد الأدب الجزائري: حين يتحدث الدكتور سعد الله عن مؤثرات الأدب الجزائري وروافده، لا يخرجها عن ثلاثة[1]:

1- المؤثر الغربي: تحدث فيه عن مآل الأدب والثقافة العربية في ظل الاحتلال ، فعلى الرغم من سيطرة العدو على مقاليد النواحي المادية للشعب وتوجهها لخدمته ، فإنه لم ينجح في الاستيلاء على المقاليد الفكرية والثقافية إلا بعد زمن طويل وبنسبة محدودة، فقد تضاءل خريجو المدارس الغربية في اتجاهها وفلسفتها على الرغم من اجتهاد الاستعمار في خلق نخبة من الجزائريين تقوم على خدمة مصالحه. واستمر التأثر بالثقافة الغربية يمر بطيئا لا يجد من الآذان الصاغية والقلوب المتفتحة له والعقول المستهلكة لبضاعته إلا أرقاما قليلة بين قائمة الشعب الضخمة. لكن هذا البطء بدأ يتسرع منذ الحرب العالمية الأولى تدفعه الأطماع السياسية ، ويغريه المستقبل الحضاري المشترك بين الشعبين الجزائري والفرنسي.

وكانت هذه دعوة قد ظهرت بسرعة مع بعض القادة السياسيين الذين حاولوا تغطية النقص الذي تعانيه الجزائر من حضارتها الشرقية التقليدية ، ولذلك اندفعوا يحملون الشعار (التقدمي) مع الاشتراكية الاستعمارية، أو العقلية العلمية ومبادئ الثورة الفرنسية ...

2- المؤثر الشرقي: ويعني به سعد الله اقتداء الشعب الجزائري بما يجدّ في الشرق العربي من أفكار واتجاهات وما يحدث من دعوات قومية أو تحررية.

فقد كانت كل خطوة تحررية أو دعوة إصلاحية يصل صداها بسرعة مذهلة إلى الجزائر، وتتفاعل مع الجيل الذي يستقبلها مُرحبا بها مستفيدا من خبرتها أو حرارتها. وكان الشرق مؤثرا حيويا في اتجاه الأدب الجزائري ،كما كان مؤثرا حيويا في الاتجاهات الإصلاحية والسياسية وقد تطور هذا التأثير بحسب الفرص التي أتيحت له، فكان أواخر القرن التاسع عشر ضيقا محدودا، وصار في أوائل القرن العشرين أكثر اتساعا وأشدّ حرارة. ثم أصبح قدوة بارزة للأغلبية الساحقة من الجزائريين منذ ظهور الدعوة الإصلاحية ومؤيّديها من الطوائف الأخرى.

وهذا المؤثر هو الذي أدى في النهاية إلى الانفصال التام عن فرنسا في مفهوم الثورة الوطنية.

---

[1] - ينظر: أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص22 وما بعدها.

3-**المؤثر الوطني:** ويعني به مجموعة الأحداث الكبيرة التي ظهرت في الجزائر متخذة لها من السياسة عنوانا، ومن الوطنية شعارا، مستهدفة جميع الشعب تحت راية واحدة ، زاحفة نحو تحقيق آماله في الاستقلال.

هذه هي أهم المؤثرات لحركة الأدب في الجزائر.

المحاضرة الثالثة: دور الصحافة في النهضة الأدبية (الشعرية)

تمهيـد

أدرك زعماء الإصلاح في الجزائر ما للصحافة من أهمية في تنوير الرأي العام وبث الوعي الاجتماعي والقومي والسياسي، "فأسسوا صحفا "كانت مدرسة كبرى للوطنية، ومصلحا عظيما للمجتمع، ومثقفا كفءً للشعب، ومنبرا للخطباء والأدباء ، ولعبت دورا كبيرا في إحياء اللغة، وإعطائها المرونة والحيوية"[1].

وكانت هذه الصحافة من بواعث النهضة الشاملة التي شهدتها الجزائر في العقود الأولى من القرن العشرين، فضلا عن دورها الكفاحي والبطولي في معركة التحرر الوطني. وإن المتصفح للإحصائيات الكثيرة التي أوردت عدد الصحف الجزائرية التي كانت تصدر ثم تصادر بعد عددين أو ثلاثة ليدرك مدى تضييق الاستعمار للخناق على الصحافة العربية الجزائرية، كما يدرك في مقابل ذلك ثبات الجزائريين واستماتتهم في المقاومة القلمية. ففي سنة 1934 نشرت جريدة الأمة للشيخ إبراهيم أبي اليقظان إحصائية بعيدة الدلالة في تجسيم استماتة الشعب الجزائري في كل ما من شأنه أن ينهض بدينه، "وهذه الإحصائية تؤرخ لثلاثين سنة تمتد من (1904 إلى 1934)، وتعدد ما صدر فيها من جرائد عربية وأسس من مدارس ومعاهد ونوادي، ولن أعمد إلى سرد الأسماء وإنما أكتفي بالأرقام "[2]، 33 جريدة ومجلة. 18 جمعية. 14 ناد. 150 معهد ومدرسة. وأشهر هذه الصحف:

1- (المنتقد) وهي صحيفة أسبوعية أصدرها ابن باديس سنة 1925، ولم تدم إلا 18 أسبوعا، يقول عنها ابن باديس: " في يوم النحر من ذي الحجة، خاتمة شهور عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف، برزت جريدة (المنتقد) تحمل فكرة الإصلاح الديني بتنزيه الإسلام عما أحدثه فيه المبدعون وحرفه الجاهلون. وبيانه كما جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة، وعمل به السلف الصالحون، معلنة أن المسلمين بذلك وحدة تصفو عقائدهم، وتزكو نفوسهم، وتستقيم أعمالهم، وينبعثون عن قوة

[1]- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1981، ص 432.

2- صالح خرفي: شعراء من الجزائر (الحلقة الأولى)، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات 1969، ص19.

وبصيرة في الأخذ بأسباب الحياة الراقية، والمدنية الطاهرة. مشاركين أمم الدنيا في خدمة الإنسانية، وترقية الحضارة، وتوسيع العمران"[1].

2- (الشهاب): وهي أشهر المجلات التي أصدرها الإمام ابن باديس وأتباعه في 1925/11/12، " وهي أشهر المجلات في المغرب العربي في النصف الأول من هذا القرن، وأطولهن عمرا، وأعظمهن خطرا، وأبعدهن أثرا، وأغناهن فائدة ونفعا، فقد كانت تتناول الفكر الإسلامي في وعمقه وأصالته، وكانت كثيرا ما تنصب أثناء ذلك على الفكر الإنساني بما فيه من سعة وشمول"[2]. وكانت من أهم الوثائق التي حافظت على الشخصية الوطنية "وقد استطاعت خلال خمس عشرة عاما أن تظهر للوجود، وأن تحدد لها نظرية اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية، وكان للشهاب مكانة عالمية ليس فقط في الجزائر، بل وفي مصر وسوريا"[3].

كانت الشهاب مجلة أسبوعية أول الأمر لمدة أربع سنوات، ثم أصبحت شهرية وكان يديرها ابن باديس، وما كانت يوما ملكا لجمعية العلماء أو أي هيئة حزبية أخرى[4].

وأما شعارها فيتكون من أربع ألفاظ هي: الحرية، العدالة، الأخوة، السلام. من أشهر كتاب الشهاب: ابن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، كما نشر فيها الشعراء منهم محمد العيد، ومحمد بن بسكر الذي يقول منوها بالجريدة:

حي الشهاب وحي الشيخ باديسا واسأل له الله توفيقا وتأنيسا

وقل رعاك الذي أعطاك موهبة حزما وعزما وتأليفا وتدريسا

توقفت الشهاب عن الصدور سنة 1939.

3-(البصائر): لم تظهر البصائر حتى ظهرت صحف أخرى سبقتها وهي: السنة، الشريعة، الصراط، وكانت كل منها تصادر من قبل الاستعمار، فكانت الجمعية تصدر صحيفة أخرى سريعا.

---

[1]-عبد الحميد بن باديس: الشهاب، ج1، م11، الافتتاحية. وعبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر،.ص90.

[2]-عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص91.

[3]- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر،المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1967، ص 51.

[4]- ينظر: عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، ص 92.

ظهرت البصائر في يوم الجمعة 12/27/ 1935 بالجزائر العاصمة، وانتقلت إلى قسنطينة بعد أربع سنوات، وكان لها دور كبير في الدفاع عن العروبة والإسلام. والبصائر نوعان:

أ- **البصائر الأولى:** من 1935 إلى 1939. وكان يديرها في السنتين الأوليين الطيب العقبي، وفي سنة 1937 عين مبارك الميلي بقرار من المجلس الإداري لجمعية العلماء مديرا ومحررا للبصائر خلفا للعقبي[1].

ب- **البصائر الثانية:** "وهي أطول عمرا وأخطر أمرا، وأبعد قيمة في تاريخ النهضة الأدبية بالجزائر، وقد صدرت في 25 يونيو 1939 ، وقد ظل الإبراهيمي مسئولا عن إدارتها إلى أن توقفت في سنة 1956، وقد كان الإبراهيمي لاجئا في المشرق العربي نتيجة البطش الاستعماري"[2].

من أشهر كتابها: الإبراهيمي، ابن باديس، الطيب العقبي، مبارك الميلي، أحمد توفيق المدني.

4-)الفاروق): أسبوعية أصدرها عمر بن قدور الجزائري سنة 1913.

6- (صدى الصحراء): أصدرها الشيخ الطيب العقبي والشيخ العابد وهي كذلك لم تعش إلا زمنا قصيرا.

7-(الجزائر): أصدرها الشيخ محمد السعيد الزاهري وعطلتها السلطات الاستعمارية ولم تعمر إلا قليلا.

8-(إفريقيا الشمالية): كانت هذه المجلة تصدر شهريا، أصدرها إسماعيل العربي (هو كاتب جزائري مغمور لا نكاد نعرف عنه اليوم شيئا) بمدينة الجزائر سنة 1949، أما كتابها فهم أنفسهم كتاب البصائر ما عدا البشير الإبراهيمي[3].

9-(الحق): أصدرها الشيخ العقبي ببسكرة سنة 1936، ولم تعمر طويلا.

10-(الجحيم): وكان يصدرها مع الدفاع محمد الأمين العمودي وكانت لا تنشر إلا المقالات العنيفة والأشعار البذيئة المؤلمة المؤثرة، لكي يطابق الاسم المحتوى[4].

---

[1] - نقلا عن: عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، ص100.

[2] - المرجع نفسه، ص101.

[3] - المرجع نفسه، ص ن

[4] - المرجع نفسه، ص111.

11-(النجاح): أسسها عبد الحفيظ بلهاشمي سنة 1919، كما شارك في تأسيسها ابن باديس وانسحب منها لما تنكرت هذه الجريدة للمبادئ الوطنية وأصبحت لسانا من ألسنة الحكومة الاستعمارية.[1]

12-(وادي ميزاب): أصدرها الشيخ إبراهيم أبو اليقظان سنة 1926، وقد عمرت نحو عامين ونصف ثم عطلها الاستعمار. فأنشأ صاحبها جريدة (ميزاب) وصادرتها الحكومة الاستعمارية أيضا، وله أيضا النور، النبراس.

أثر هذه الصحف على النهضة الأدبية والثقافية في الجزائر

كانت تلك الصحف منبرا للأدب الذي صور أحداث ومآسي الشعب الجزائري في تلك الفترة المظلمة من تاريخ الجزائر، "ولولا هذه الصحف لما كانت نهضتنا نهضة، ولما كان تاريخنا تاريخا، ولما كانت ثورتنا ثورة، في قرننا هذا. والفضل كل الفضل يعود لابن باديس الذي يجب أن يعد عميد الصحافيين بلا جدال أو مكابرة"[2].

وقد لمعت أسماء كتاب وشعراء كبار في مجال الكفاح من أجل الحفاظ على الجزائر عربية مسلمة، ومن هذه الأسماء اللامعة في فن المقال: ابن باديس، الإبراهيمي، الطيب العقبي، العربي التبسي. وبالنسبة للشعراء عُرِف: رمضان حمود وأبو اليقظان وحمزة بوكوشة ومحمد العيد وأحمد سحنون في ميدان الصحافة فضلا عن شعرهم المنشور في صفحاتها، فكتبوا القصائد التي تشيد بدور الصحافة في إنهاض الهمم وتوحيد الصفوف ونشر المعرفة، ومن ثم نجد كمًّا غزيرا من القصائد التي تلح طويلا على العلم، وتدعو الشعب إلى بناء المدارس وتعليم النشء، ورؤاهم التي ترى أنه بغير التعليم لا يتم الإصلاح ولا يتحقق الهدف لأنه "في بداية أية نهضة يكون العلم بمعناه الواسع سلاحا أساسيا لها، يهبها السطوة والنفوذ والقوة، ويملأ قلوب الناهضين بالإيمان الراسخ والوعي اليقظ"[3]، وتلك هي صرخة رمضان حمود التي رددها كثيرا على لسان الصحافة:

أصيح فيهم بصوت عز قائلة ألا حياة بها في الناس نرتفع

فمزقوا الجهل وانجوا من مخالبه فالجهل بالعلم والتفكير ينقطع

---

[1] – عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، ص 112

[2] – المرجع نفسه، ص 114 -115.

[3] – محمد ناصر: رمضان حمود حياته وآثاره، ص 33.

وحيثما كنتم ولوا وجوهكم وجهدكم شطر شمس العلم واندفعوا[1]

وفي هذا المجال يتحدث رمضان حمود عن أهميتها- إذا أحسن استغلالها- وعن دورها في التغيير وتنوير الرأي العام، وأثرها في تشكيل النفوس:

إن الصحافة نور للبلاد إذا سارت موفقة في أحسن السبل

هي الفؤاد لشعب قد غدا سكنا هي الحسام طويل الحول والحيل

هي اللسان لها حكم وسيطرة هي الرسول لدى الأجناس والدول

هي الطبيب يداوي من به مرض من الجهالة أو ميل من الزلل

تهذب القوم للإرشاد تصلحهم وتدفع الجور كالإرهاق والختل

فأمة نبذتها لم تنل أبدا ما ترتجي، لحياة العز لم تصل[2]

ويعلق الدكتور صالح خرفي على شعر رمضان حمود وعلاقته بالإصلاح فيقول: "ومنذ القراءة الأولى لشعره، يتجلى حمود وقد ملك عليه إصلاح شعبه وأمته تفكيره، وكأني بالفكرة الإصلاحية وقد امتزجت بدمه، فأعطاها كل ما يملك من قواه، ولم يثنه عن عزمه مستعمر حاول إذايتهم مرارا"[3].

وكان لصدور جريدة صدى الصحراء سنة 1924 أهمية بارزة في نشر المعرفة و في التعريف بمبادئ الحركة الإصلاحية، فكتب محمد العيد قصيدة بعنوان (صدى الصحراء) نشرت في العدد الأول يقول فيها:

كتبت فكان الحق طوع أناملي وقلت فكان الصدق وسع مقالي

وكنت(صدى الصحراء) أدعى لأنني بسطت على الصحراء نور هلالي

ووالیت بالإرشاد رفع عقيرتي عسى أن يهب النائمون حيالي

عسى أن يهب النائمون فإنهم يغطون من حقب مضين طوال[4]

---

[1] - المرجع السابق، ص33.

[2] - صالح خرفي: شعر المقاومة الجزائرية، ص190.

[3] - محمد ناصر: رمضان حمود حياته وآثاره، ص 27.

[4] - محمد العيد آل خليفة الديوان، ص12.

كما عُرِف إبراهيم أبو اليقظان بحضوره القوي الفعال "في ساحة النضال والعمل الوطني الدءوب، ولم يدخر أي جهد في حركة الإصلاح والنهضة والتغيير ومقاومة أسباب التخلف والانهزام والتقاعس، ومناهضة كل عوامل فقدان المناعة الدينية والاجتماعية والوطنية، فحرر مقالات وأنشأ صحفا ونظم شعرا"[1]. والصحافة عنده هي الحياة بالنسبة للشعوب، والشعب من غيرها في عداد الأموات وبفضلها تُنال الرغائب وتتحقق السعادة والهناء ويُرَتقى إلى المجد:

إن الصحافة للشعوب حياة والشعب من غير اللسان موات

فهي اللسان المفصح الذَّلق الذي ببيانه تُتَدارَكُ الغايات

وهي الوسيلة للسعادة والهنا وإلى الفضائل والعلا مرقاة[2]

إلى أن يقول إن الشعب طفل والصحافة هي والده أو الوصي الذي يرى ما يصلح لحياته وما لا يصلح، وهو التلميذ والصحافة معلمه المخلص إذا سارت في الاتجاه الصحيح:

الشعب طفل وهي والده يرى لحياته ما لا تراه رعاة

الشعب تلميذ وتلك مثقف ومهذب إذ تخلص النيات[3]

ولا شك أن كثرة إنتاج أبي اليقظان في ميدان الصحافة هي التي جعلت عبد الملك مرتاض يعتبر أن "إبراهيم أبو اليقظان من أكبر الإعلاميين الجزائريين على عهد الاستعمار الفرنسي إطلاقا. فقد أصدر ثماني صحف: واحدة بعد أخرى"[4]، غير أن فضل السبق وجرأة الريادة والذكاء السياسي ومنهجية الرؤية الإصلاحية الوطنية كانت لعبد الحميد بن باديس بداية وإصرارا على التواصل.

وكان لهؤلاء دور كبير في النضال الصحفي، حيث كانت مقالاتهم وخطبهم وقصائدهم تتصدر الصفحات الأولى لتلك الصحف معبرة عن مختلف الأحداث الوطنية، وكمثال على ذلك محاولة الاغتيال التي تعرض لها الإمام بن باديس من طرف بعض المرتزقة (التابعين للطريقة العليوية) في بداية جانفي 1927. وأمام هذا الحدث الجلل"صدح أكثر من شاعر بقصائد منددين

---

[1] – محمد ناصر بوحجام: دراسات عن الشعر الجزائري الحديث، ط1، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 2011. ص75.

[2] – إبراهيم أبو اليقظان: الديوان ج1، ص130.

[3] – المصدر نفسه، ص131.

[4] – عبد الملك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص125.

بالعمل الإجرامي، من أمثلة ذلك قصيدة محمد العيد (حمتك يد المولى) التي نشرت في العدد الأول من الشهاب الصادرة في 27 جانفي 1927".[1] ومنها:

حمتك يد المولى وكنت بها أولى فيا لك من رجل حمته يد المولى

وقد نالت الشهاب والبصائر حصة الأسد من الأعمال الإبداعية للشعراء والخطباء وكتاب المقال، يقول عبد الملك مرتاض: "وقد ظلت الشهاب والبصائر بمثابة المعين الثرثار الزلال ماؤه، تستمد منه جميع الصحف الأخرى، أو بمثابة القطب الذي تدور عليه الأشياء وتقوم حوله"[2].

ونظرا للدور الريادي الذي لعبته الصحافة، فقد واجهت عقبات كثيرة كانت تخلقها السلطات الفرنسية لعرقلة ظهور وانتشار الصحف حيث كانت " توقف أية صحيفة لا ترضيها لهجتها واتجاهها، وكان سيف الرقابة مسلطا على أصحاب الصحف العربية "[3].

ومن المضايقات التي تتعرض لها الصحافة ما ورد في جريدة الصراط معللا تأخرها عن القراء بعنوان: قانون جديد " يوجب على مدير الصحيفة أن يقدم طلبا مع نسختين من جريدته لمدير البريد طالبا منه الإذن بتوزيعها، ومدير البريد لا يأذن بتوزيع الجريدة إلا بعد جواب وكيل الحق العام بكون هذه الجريدة قائمة بواجب القانون الصحافي، ولانتظار هذا الإذن من مدير البريد قد تتأخر الجريدة أياما "[4].

ويصف الدكتور إحسان حقي حالة هذه الصحافة قائلا: " إن حرية الصحافة مصونة في بلاد الجزائر ما دامت هذه الصحف تسبح بحمد فرنسا، وما دامت تصدر باللغة الفرنسية، وأما إذا كانت صحيفة عربية، أو أرادت أن تقول الحق فسيف الظلم مسلط عليها، ولا تعدم الحكومة ألف حيلة للقضاء على صحيفة أو على صاحبها أيضا "[5].

ولكن هذا الاضطهاد لم يكن ليثن الجزائريين عن عزمهم وتصميمهم حتى أن بعض الصحف كانت تطبع بتونس وتوزع بالجزائر.إن هذا الإصرار يمثل التحدي الصحيح لكل مناورة

1- فوزي مصمودي: (محمد العيد آل خليفة الوجه الآخر لنضاله الصحفي)، البصائر سلسلة 4، سنة 6، عدد 264 ، 28 نوفمبر إلى 5ديسمبر 2005 ، ص10.

2 - عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، ص 113.

3- أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر، ص55.

4- مجلة الصراط: دار الغرب الإسلامي، عدد 3، الاثنين 25 مارس 1933.

5- أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر، ص55.

استعمارية " فلا يتوارى المشروع باسم حتى يطالعنا بآخر، ولا تختفي الجريدة (منتقدا) حتى تعانقها (شهابا) ولا نفتقدها (نورا) حتى تفاجئنا(نبراسا)" [1].

وأصبحت ظاهرة صدور الجريدة أو اختفاؤها السريع لا تلفت النظر حتى عند محمد العيد "وهو يتحدث إلى القراء متقمصا مجلة الشهاب بعد احتجاب المنتقد سنة 1926"[2].

خليا عنكما حديث احتجابي عرجا بي إلى العلا، عرجا بي

فلئن رحنا غيلة لافتراءات فإني قد أبت خير مآب

وتفاديا لشر الاستعمار لجأ العديد من الكتاب بهذه الصحف إلى استعمال الحيلة للإفلات من الرقابة، فكانوا ينشرون مقالاتهم وأشعارهم بأسماء مستعارة.

[1]- صالح خرفي: شعراء من الجزائر (الحلقة الأولى)، ص20.

[2]- المرجع نفسه، ص19..

المحاضرة الرابعة: مدخل إلى اتجاهات الشعر الجزائري

تمهيد

توالت الأحداث على الجزائر، وكان أشدها تأثيرا في التحول العميق الذي مس الجزائر اقتصاديا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا، حيث كانت تلك الأحداث بمثابة الصدمة التي ردت الوعي إلى الجزائريين، وانتزعتهم من غيبوبة الشطحات الصوفية التي سادت القرن التاسع عشر، لتلقي بهم في حضارة القرن العشرين.

ولعل أبرز ما تمخضت عنه هذه الحرب بالنسبة للجزائريين ذوي الاتجاه العربي الإسلامي، تلك النهضة الفكرية والاجتماعية والوطنية التي بدأت مع بداية أول حركة إصلاحية في الجزائر سنة 1925.[1] فإن الأثر الذي تركته هذه الحركة في النهضة القومية كان من الأصالة والعمق أن وضع أول خطوة ثابتة في طريق الشعور بالذات وكان من الشمول والإحاطة أن مس نواحي الحياة كلها. بدأت هذه الحركة اجتماعية دينية، وانتهت سياسية وطنية، واستطاعت لأول مرة أن تجمع حولها نخبة من ذوي الثقافة العربية الإسلامية من جميع جهات القطر الجزائري.

من هنا يمكن القول إن البداية الحقيقية للنهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، إنما ارتبطت بهذه الحركة الإصلاحية. ذلك لأن الذين قاموا بها تخرجوا في المعاهد العربية العالية بتونس والمشرق، وكانوا على صلة وثيقة بالحركات الوطنية والإصلاحية التي كانت تشهدها هذه البلاد، وكان تأثرهم بالنهضة المصرية من العوامل التي زودتهم بالمدد الروحي. كما كان دور تونس في هذا المجال بارزا فعالا، وإن نظرة واحدة على كتاب شعراء الجزائر لتؤكد ذلك، فأغلب ما نشر في هذا الكتاب نشر قبل ذلك في الصحافة التونسية. وأن الكتاب المذكور سابقا صدر في تونس.

تلك هي المنابع الأساسية لهذه الحركة الأدبية والتي كان الفضل في إذاعتها وتوجيهها لابن باديس وغيره من رجال الإصلاح، فإن أول ما قامت به هذه النخبة المثقفة أن أسست

---

[1] – ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، باب الواد ي،/ الجزائر، 2009، ص ب.

الصحف العربية وكان من أبرزها جريدة (المنتقد) التي برزت سنة1925، والتي تعتبر بمثابة النادي الثقافي والأدبي الذي تجمعت فيه أقلام الشباب كتابا وشعراء. وإليها يرجع الفضل في احتضان الأدب الناهض كما كانت تسميه، وتوجيه المواهب المتفتحة، وإطلاع الأدباء الجزائريين على ما يجدّ في عالم الأدب العربي من إنتاج جديد. وهي إلى جانب هذا استطاعت أن توحد خطى الفئة المثقفة نحو هدف واحد، هو العمل جماعيا في سبيل إحياء الشخصية العربية الإسلامية وتطعيمها بدماء جديدة تستطيع معها الوقوف صامدة في وجه التيارات المضادة.

ومن ثم أخذ الشعر الجزائري نفسا جديدا، وظهرت صحف وطنية أخرى تحمل الفكرة نفسها نذكر منها: الشهاب 1925، صدى الصحراء 1925، وادي ميزاب 1926، الإصلاح 1927، البرق 1927. وراحت تسلك المنهج الذي سلكته المنتقد توجه الشعر وتغذيه، فوجد إنتاج غزير، وظهرت في العشرينيات أسماء كثيرة لشعراء تسهم في تغذية الشعر، وتؤيد الحركة الإصلاحية، وامتلأت أعمدة الصحف بنماذج كثيرة من الشعر تتفاوت في الأسلوب والمحتوى من شاعر لآخر[1].

وقد أصاب الشعر على يد الحركة الإصلاحية تطور ملموس تجلى في ظهور شعر جديد يختلف كثيرا عن شعر ما قبل الحرب العالمية الأولى، متعدد الأغراض يتماشى مع الواقع الاجتماعي، ويستلهم وجدانه الجماعي، فكان أن ظهر الشعر الوطني الإصلاحي، والاجتماعي والسياسي. كما تطور من ناحيته الفنية بعض التطور فابتعد عن المقدمات التقليدية المتكلفة، وتخلصت اللغة الشعرية نسبيا من لغة المنظومات العلمية والفقهية، واكتسب التعبير نوعا من الانطلاق والحيوية، وتخلص كثيرا مما كان يثقله من آثار الصناعة اللفظية والبديع المتكلف. كما استطاعت بعض القصائد أن تعرف نوعا من الوحدة في الموضوع[2].

واستطاع بعض الشعراء أن يستجيبوا و يتفاعلوا مع بعض الاتجاهات الحديدة كالاتجاه الوجداني الرومانسي وحاول بعضهم أن ينظر إلى الشعر نظرة نقدية متفحصة ويدخل عليه نوعا من التجديد في الوزن والقافية. ونتيجة لهذا التطور الملموس في فهم وظيفة الشعر ودوره

[1] – ينظر: محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه، ص29.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 30-31.

في الحياة، برز إلى الوجود ما يمكن أن يعتبر أول ديوان شعر جزائري يضم بين دفتيه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر)[1] قدم إنتاج اثنين وعشرين شاعرا يختلف شعرهم عما ألفه الناس ممن سبقوهم، أصالة وانطلاقا، مضمونا وشكلا.

وقد قام محمد ناصر بدراسة موسومة ب(الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، صنف من خلالها الشعر الجزائري الحديث في ثلاثة اتجاهات رئيسية هي:

1-الاتجاه التقليدي المحافظ.

2- الاتجاه الرومانسي الوجداني.

3-الاتجاه (الجديد) الشعر الحر.

أولا- الاتجاه التقليدي المحافظ

كان من الطبيعي أن يرتبط الأدب الجزائري الحديث في نشأته بتيارين عظيمين في حركة اليقظة والنهضة العربية:

الأول: هو تيار الإصلاح الديني والاجتماعي لإنقاذ عامة الشعب الجزائري وخاصته من التردي في الضلالات والأباطيل التي زرعها الفكر الاستعماري، وغذتها عقول الجهل وانتشار الأمية، لتخليص العقل من الوهن وذهنيات التواكل والإيمان بالخرافات من ناحية، وزرع عناصر الثقة بالنفس وقيم العمل والنضال والعودة إلى المنابع الأولى الصافية في العقيدة الإسلامية من ناحية أخرى.

أما الثاني: فيتمثل في ارتباط الشعر الجزائري الناهض بمنابع الشعر العربي القديم، واتكائه على قصائد الشعراء المشاهير في التراث، واحتذاء طريقتهم في نسج الشعر وبنائه، أو ما يسمى بعمود الشعر العربي في الأوزان والأغراض والاستعارات والصور، وحتى الألفاظ أو المعجم اللغوي المستمد من القرآن والحديث الشريف، ومن كلام العرب الفصيح. والغاية من ذلك هي زرع دماء جديدة في اللغة العربية التي حاربها الاستعمار في الجزائر بشراسة وأضعفها ومنع الكتابة بها إلا في أضعف الحدود.

[1] - المرجع السابق، ص31.

ويؤكد محمد ناصر هذا الحكم بمقطع من مقال كتبه محمد السعيد الزاهري في مجلة الرسالة القاهرية سنة 1936، جاء فيه "وما من شيء له أثر في حياة المغرب العقلية والاجتماعية إلا وهو مصري غالبا، وكل حركة دينية أو أدبية في مصر لها صداها القوي في المغرب العربي. فللأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده المصري أنصار ومريدون، وفكرة الإصلاح الإسلامي التي يدعو إليها، أصبحت اليوم في الجزائر مذهبا اجتماعيا يعتنقه الكثرة الكثيفة من الناس"[1].

ويقول أبو القاسم سعد الله: "أما المدرسة الخارجية التي تأثر بها الشعر الجزائري، فهي مدرسة شوقي وحافظ والرصافي، وهي مدرسة زعماء الشعر الإصلاحي –إن جاز التعبير– ويسميها العقاد المدرسة الوسطى. فهؤلاء الشعراء ساروا مع النهضة العربية الصاعدة، وعبروا عن أزمات ويقظة الشعب العربي، واتخذوا من الواقع العربي –الإسلامي موضوعات خصبة، ومن هنا نستطيع القول بأن هذه المدرسة الشرقية قد انتقلت إلى الجزائر مع فارق واحد، هو أن شعراء الجزائر قد ألبسوها ثوبا محليا وصبغوها بألوان بلادهم، ولعل محمد العيد، وأحمد سحنون، ومفدي زكرياء، ومحمد اللقاني، والغزالي، وأمين العمودي، وسعيد الزاهري، والهادي السنوسي أحسن من يمثل هذه المدرسة في الجزائر[2].

أما سبب ذلك فهو أن الفترة التي عاشتها الجزائر منذ أوائل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الثانية هي تقريبا نفس الفترة التي عاشها الشرق العربي إبان ظهور تلك المدرسة الأدبية. ومن هنا نجحت في الجزائر كما نجحت في الشرق، لأن الأوضاع متشابهة والأهداف تكاد تكون واحدة.

بناء على ما سبق فإن النفر الذين يشكلون المدرسة المحافظة في الشعر الجزائري هم الذين تضمّنهم كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر، الذي طبع الجزء الأول والثاني منه بتونس على التوالي سنتي: 1927/1926. وهم

---

[1] – محمد السعيد الزاهري (مكانة مصر في المغرب العربي)، مجلة الرسالة، عدد 135، 1936/03/03، القاهرة، مصر، ص178.

[2] – أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، منشورات دار الآداب، ط1، ، بيروت، لبنان، 1966، ص51.

1- محمد العيد حم علي (آل خليفة).

2- محمد اللقاني بن السائح.

3- الشاعر محمد السعيد الزاهري.

4- الجنيد أحمد مكي.

5- أبو اليقظان.

6- الطيب العقبي.

7- مفدي زكرياء.

8- أحمد كاتب بن الغزالي.

9- رمضان حمود بن سليمان.

10- إبراهيم بن نوح امتياز.

11- محمد الهادي السنوسي الزاهري صاحب الكتاب.

أما الجزء الثاني من الكتاب فقد ضم عشرة شعراء هم على الترتيب[1]:

1 - الأمين العمودي.

2- محمد المولود بن الموهوب.

3- الطاهر بن عبد السلام.

4- حسن أبو الحبال.

5- محمد الصالح خبشاش.

6- المولود الزريبي.

7- محمد العلمي.

8- محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي.

9- أحمد بن يحيى الأكحل. 10- محمود بن ذويدة.

وهناك شعراء آخرون لم يشملهم كتاب شعراء الجزائر، عاشوا فترة العشرينيات منهم: عمر بن قدور الجزائري أحمد سحنون، الربيع بوشامة، عبد الكريم العقون ،سعد الدين الخمار، حمزة بوكوشة، وهؤلاء الشعراء لهم فضل كبير في الساحة الأدبية الجزائرية.

[1] - تنظر تراجم هؤلاء الشعراء بأيديهم وأقلامهم في الجزأين: الأول والثاني من الكتاب (شعراء الجزائر) المذكور آنفا .

ولم يول هؤلاء أهمية لماهية الشعر، ولم يُنظّروا له كما فعل غيرهم ممن تأثر بالمدارس والتيارات الأدبية الوافدة، وإنما انصب اهتمامهم على وظيفة الشعر ودوره الإحيائي لأوضاع اجتماعية وثقافية ودينية كادت أسسها أن تزول بفعل التدمير الذي أحدثه الإستدمار الفرنسي.

2-أغراض شعرهم

إن هذا الشعر قد غطى جميع الأغراض والتزم الخط الإصلاحي الذي تمليه ظروف البلاد الواقعة تحت الاستعمار، فقد دافع الشعراء عن الدين الإسلامي وعن اللغة العربية، وهاجموا الاستعمار والطرقيين، وعالجوا القضايا الاجتماعية المختلفة فتحدثوا عن الفقر والفقراء، وشخصوا الجهل وأسبابه ودعوا إلى العلم، وهاجموا الانحراف، والفساد وحثوا على توعية المرأة وتعليمها، ودعوا إلى التعبئة السياسية على صعيد الجمعيات، وتناولوا القضايا السياسية، فتحدثوا عن القضية الجزائرية ومجلس الأمن، وعن مؤسسات الثورة كجبهة التحرير وجيش التحرير وأرهصوا للثورة وتنبئوا بها، وواكبوا مسارها، فألهبوا الحماس ووصفوا المعارك وكشفوا جرائم العدو، ومدحوا الزعماء و رَثوا الشهداء. وفي هذا يقول الدكتور عبد الله ركيبي: "والدارس للأدب الجزائري الحديث يلاحظ أن الشاعر في هذه الفترة كان يتأمل واقع المجتمع وما استشرى فيه من داء محاولا إصلاحه من زاوية الدين، فنراه يذكر في كل مناسبة بأن الرجوع إلى القيم الروحية واقتفاء أثر السلف الصالح، هو سبيل النجاة، وأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"[1].

ثانيا- الاتجاه الرومانسي الوجداني

للحديث عن هذا الاتجاه (الاتجاه الرومانسي الوجداني) في الشعر الجزائري يجدر بنا أن نقف عند كتابين يمكن الوثوق والاطمئنان إليهما في تحديد وجود أو عدم وجود هذه المدرسة الأدبية في الشعر الجزائري الحديث:

أو لهما هو كتاب المؤرخ الأديب الناقد أبو القاسم سعد الله، (دراسات في الأدب الجزائري الحديث) الذي جاء فيه كلام مقتضب عن نشأة الرومانتيكية في الشعر الجزائري هذا نصه:

"كان الشعر الجزائري قليل التأثر بالمذاهب الأدبية الصرفة، ميالا إلى الاعتدال و الحذر في اعتناق كل شيء غير ديني وغير إصلاحي، ولذلك لم تنجح الرومانتيكية في الجزائر بالرغم من

[1] - عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ج2، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 363.

وجودها في الشعر الفرنسي وفي شعر الشابي في تونس. وهذا لا يعني أن الرومانتيكية لم تدخل الجزائر على الإطلاق، ولكن معناه أن الذين أرادوا الانتفاع بها مثل الطاهر البوشوشي وجلول البدوي، لم يصلوا إلى شيء لأن الظروف الاجتماعية وقفت حائلا. ويبدو أن محمد العيد بالخصوص قد تأثر بجبران وفلسفته إلى حد كبير سيما في قصائده التالية: (هيجت وجدي، يا ليل، يا قلب، وليت نحوك وجهي)"[1].

أما الكتاب الثاني الذي تحدث عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل هو (الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975). للدكتور محمد ناصر الذي حاول أن يحدد ملامح هذا المذهب ومؤثراته الأساسية.

بعد أن أشار إلى صعوبة إيجاد تعريف جامع للمصطلح حاول استخلاص تعريف للرومانسية انطلاقا من مهد ظهورها (الأدب الأوروبي) وبيان أصولها والأسس التي قامت عليها ومقارنة بينها وبين المدرسة الكلاسيكية خلص الدكتور محمد ناصر إلى السؤال التالي: أين يقف الشعر الجزائري المتجه اتجاها رومانسيا من كل هذا؟"[2].

ثم راح ينفي وجود مدرسة أو مذهب رومانسي بالمعنى الدقيق في الشعر الجزائري، لأن الرومانسية كما عرفتها أوروبا، كانت فلسفة متكاملة في الحياة، والمجتمع، والدين، وغيرها، بينما ظلت في الجزائر مجرد اتجاه لاختلاف الظروف،ولم يشأ الناقد استعمال مدلول المدرسة أو المذهب وفضل استعمال مصطلح (الاتجاه الوجداني) ربما لغياب الملامح العامة لهذا المذهب في الشعر الجزائري الحديث لأن هذا الشعر لم يعرف الاتصال المباشر الواسع بالآداب الأوروبية الرومانسية خلاف بخلاف الشعر العربي في مصر والمهجر[3].

ويمكن القول إن بذور الاتجاه نحو الرومانسية بدأت تظهر مع بوادر اليقظة القومية قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها. فالدكتور عبد الله ركيبي يشير إلى أن نصوصا شعرية ظهرت في هذه الفترة تصف الواقع المرير في نغمة يائسة، ونظرة قاتمة، ومشاعر واعية بالفرد وتطلعاته إلى غذ أفضل، وقد دلت بعض تلك القصائد من خلال عناوينها على ما تحمله من هذه الأحاسيس

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص49.

[2] – محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص85.

[3] – المرجع نفسه، ص85-86.

(دمعة على الملة)، (زفرات العشي)، (زفرات الحيران ذي الشجن)، (دمعة كئيب) إلى آخره. ولكن هذه النصوص لا تتعدى كونها بذورا تعبر عن مشاعر الشعراء إبان الحرب العالمية الأولى، إزاء الحياة والمجتمع[1].

غير أن البداية الحقيقية لهذا الاتجاه، إنما بدأت مع الأشعار التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى مع بداية الوعي بالواقع الاجتماعي والسياسي ، لأن الأوضاع المؤلمة التي فرضها الاستعمار آنذاك تعد مؤثرا أساسيا في مشاعر الحزن الكآبة التي لونت الشعر الجزائري آنئذ حتى غدت طابعا عاما يميز أغلب الإنتاج الشعري الذي ظهر في العشرينيات ولم تفارقه إلا بعد أن تأسست جمعية العلماء المسلمين[2].

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص88.

[2] –ينظر: المرجع نفسه، ص88.

المحاضرة الخامسة: الشعر الإصلاحي الديني الجزائري

يقول عبد الله ركيبي: "كان من الطبيعي أن يرتبط الشعر بالفكر الإصلاحي لأن الذين دعوا إلى الإصلاح احتضنوا التراث والأدب واللغة والثقافة العربية في الجزائر، ومن ثم ازدهر الشعر في ركاب هذا الفكر وعبر عن أهدافه ومراميه"[1].

فالدين إذا كان قد ضعف في النفوس وطغت عليه الأوهام والخرافات بسب ممارسات الطرق الصوفية الموالية للاستعمار، ودخل فيه ما ليس من جوهره ومبادئه، فإنه كان في الماضي قوة روحية ومبادئ اجتماعية مكنت من تأسيس حضارة عربية إسلامية أضاءت العقل الإنساني بتوهجها، ووسعت مداركه، وفتحت له آفاقا واسعة في العلم.

أما المجتمع الجزائري إذا كان في حاضره (في العشرينيات من القرن الماضي) يتخبط في التخلف المادي والمعنوي فذلك بسبب الاستعمار وليس عن قصور ذاتي لأنه كان في الماضي مجتمعا متقدما حضاريا وثقافيا[2].

ولكي يتخلص الجزائريون من هذا كله، لا بد من تطهير الدين مما علق به من أوهام وخرافات، ويطوروا اللغة بالتجديد في أساليبها، ويحرروها من الجمود في تعابيرها وصيغها، لذلك كان لابد من المطالبة بتحرير الدين من السيطرة الفرنسية، ونشر التعليم العربي، بتكوين مدارس خاصة، وتدريس علوم العربية في المساجد، وهذه كلها شعارات رفعتها الحركة الإصلاحية منذ بدايتها، لهذا ارتبط الشعر بالفكرة الإصلاحية التي ترى أن التقدم لا يتم إلا بإحياء التراث الثقافي والأدبي وإصلاح المقومات الأساسية من لغة ودين وتاريخ وحضارة.

ومن هنا اتجه الشعر إلى التركيز على فكرة الإحياء، وكانت النظرة تركز على الماضي الذي يمثل النموذج الذي يتبع.

لهذا حظي الدين الإسلامي بنصيب وافر من الشعر الجزائري الحديث، فالشاعر في هذه الفترة كان يتأمل واقع المجتمع، وما انتشر فيه من أمراض محاولا إصلاحه من زاوية الذين، فتراه يذكّر في كل مناسبة بالرجوع إلى القيم الروحية واقتفاء أثر السلف الصالح الذي هو سبيل النجاة انطلاقا من مبدأ "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها". ولاشك أن القصائد

[1] – عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ج2، ص7.

[2] – ينظر: المرجع نفسه.

الأولى التي تنقد الواقع وتدعو إلى الرجوع للدين الصحيح هي قصيدة (المنصفة)[1]، للشاعر المولود بن الموهوب* التي تصف واقع الشعب الجزائري في العقد الأول من القرن العشرين تتبع فيها صاحبها ما حدث في المجتمع من أمور خارجة عم الدين وكيف أنه غرق في الضياع وانتشرت فيه الخرافات والبدع، وهي قصيدة تمثل البداية الحقيقية للشعر الإصلاحي الديني الذي حمل مشعل الدعوة إلى النهوض وتطهير المجتمع من الخرافات والبدع. ومطلعها يدل على المرارة التي كان الشاعر يحس بها نتيجة اضطراب الحياة وما انتشر فيها من موبقات ومن أناس لا همّ لهم سوى العبث بالدين والأخلاق، يقول:

صعود الأسفلين به دُهينا لأنّ للمعارف ما هُدينا
رمت أمواج اللهو منا أناس للخمور ملازمينا
نعم: إنا شُقينا إذا سقينا كؤوس الجهل لكن ما روينا
ينادينا الكتاب لكل خير فهل كنا لذلك سامعينا؟[2].

أما الشاعر محمد العيد لسان حال الحركة الإصلاحية فهو من أبرز الأعلام الذين نبهوا الناس من غفلتهم وأيقظوهم من سباتهم، وفتحوا أعينهم على المؤامرة التي تحاك ضد الإسلام إذ يقول:

أفيقوا فهذا الدين دين ربوعكم تنازله الأحداث شر نزال
تحاول نكباء الضلالة نسفه وترميه أشلاء الردى بنبال
فقوموا مقامات الدفاع حياله ليأمن هذا الدين كل ضلال[3]

وكانت تعرية أدعياء الدين وفضح سوءاتهم من بين وسائل الرّد المؤثرة عليهم، فقد كانوا يحيطون أنفسهم بقداسة مرهبة للعامة، ويتمظهرون بمظاهر مختلفة مع ما يتبع ذلك من فكر غريب، يصور محمد العيد ذلك في هذا المقطع من قصيدته الخالدة التي ألقاها سنة1933م بمدرسة الشبيبة بالجزائر العاصمة:

---

[1] – المرجع السابق، ص11.

* من مواليد قسنطينة في 1866. وكان تعليمه الديني وثقافته العربية الإسلامية دعما له على اتباع النهج الإحيائي في الشعر والفكر الإصلاحي.

[2] – محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاصر، ج2، ص69.

[3] – محمد العيد آل خليفة: الديوان، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص13.

وفشا الدجل فالولاية دعوى كل ذي سبحة تطول وذقن

وغلا القوم في الولي فظنوا أنه كالإلـه يغني ويقني[1]

و يذكر الطيب العقبي من جهته الانحراف الذي طال الطرق الصوفية بعد ما كانت مراكز لتخريج العلماء والمجاهدين، أصبح أصحابها مجرد انتهازيين – رغم المكانة التي تمتعوا بها– ومخادعين يبتزون المال:

فما الطرق في هذا الزمان مجادة ولنكها يبغي بها أهلها الرزقا

تجارة قوم عاجزين، سبيلهم سبيل ضلال جانبوا العلم والصدقا

وشيخهم الأتقى (الولي) بزعمه إذا ما رأى مالا أمال لـه عنقا

أولئك عباد الدراهم، ويلهم سيمحقهم ربي، وأموالهم محقا

متى ألقهم، أبصر شياطين فتنة ويا ليت أني لا أراهم ولا ألقى[2]

وفي الثلاثينيات يفضح حمزة بوكوشة التناقض المريع بين مظهر (الولي) الخادع، ومخبره الزائف، فهو يظهر للناس في مسوح التقى والزهد، ويختلي لنفسه في صورة شيطان:

ربع قرن قضيته في الصحافة دائبا ساعيا لنشر الثقافة

لم أؤيد مدى الحياة خؤونا غادرا بالبلاد، أو ذا خرافة

يدعي العلم والتصوف حتى يكسب الفلس، أو يروم اختطافه

ظنه الجاهلون شيخا تقيا وهو من يحتسي كؤوس السلافة[3].

والأدهى والأمر هو قدرة الطرقيين في التأثير على عامة الشعب الجاهل، وشدة واعتقاده لمنطقهم ن الغريب، وخضوعه لهم، بل واعتقاده أن ذلك هو الدين الصحيح، فإذا العوام سوائم تُهش بعصا الضلالات، يقول محمد السعيد الزاهري مصورا ذلك:

كانوا طوائف شتى، كل طائفة تطيع شيخا لها في كل ما زعما

إن قال إني (ولي) صدقوه وإن هو ادعى الغيب، قالوا أحكم الحكما

---

[1] – محمد العيد آل خليفة : الديوان، ص111.

[2] – محمد بك: محمد الأمين العمودي ودوره في الإصلاح من خلال جريدة الدفاع: (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008–2009، ص 177.

[3] – صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص43 .

في كفه المنع والإعطاء عندهم والدين والخير فيما شاد، أو هدما[1].

ثم يهيب الزاهري بالدور الكبير الذي قام به شيوخ الجمعية في إصلاح ما أفسده غيرهم من رجال الطرق المنحرفة، وكيف تغير سلوك العباد ووجه البلاد بعد موجة الإصلاح الشامل:

ومذ أتى علماء الدين واندفعوا يستنهضون إلى إصلاحها الهمما

ويعملون على نشر العلوم بها أضحت تشابه في أعمالها الأمما[2]

أغراض الشعر الجزائري

أ- الدعوة إلى نشر العلم والمعرفة

من الشعراء المجيدين في هذا المجال: محمد العيد وأبو اليقظان وحمزة بوكوشة وأحمد سحنون.

يقول محمد العيد:

العلم سلطان العقول فسد به من شئت أو ذد عن حياضك وادفع

والْجأ له بدل الحصون فلا أرى حصنا كمدرسة سمت أو مصنع

قل للجزائر انشئي كلية تمحو جهالة شعبك المتسكع

الجهل غيم فوق أرضك ضارب غطى على أرجائها والأربع[3].

ويوم واصلت النهضة الإصلاحية رسالتها بعد الحرب العالمية الثانية، أسفرت المدرسة الحرة عن وجهها الحقيقي، وفرضته على المستعمر في وضح النهار، وغدت مدرسة حربية رسالتها تخريج دعاة الثورة وحملة السلاح، وأصبحت رسالة المعلم فيها الجهاد والتحرير وفك الأسر، وأصبح الطلبة هم الجند والعتاد والفداء كما نلمس ذلك في قصيدتي أحمد سحنون: (إلى المعلم) وإلى (التلميذ:

هات من نشء الحمى خير عتاد وأدخرهم لغد جند جهاد

هات نشأ صالحا يبني الحِمى و يفك الضاد من أسر الأعادي

يا مربي النشء، يا باني النهى يا محلَّ الحب في كل فؤاد

---

[1] – المرجع السابق ، ص37/38 .

[2] – المرجع نفسه، ص20(الملحق).

[3] – محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص145.

قُدْ إلى العلياء أشبال الحمى وإلى تحريرهم، كن خير حاد[1]

ولا يختلف دور المدرسة عند إبراهيم أبي اليقظان عن سابقه فالمدرسة هي المهد الذي منه يتخرج حملة السلاح، وفيه يتكون الجند المنتظر لتحرير الوطن ليعيش حرا طليقا كسائر البلدان التي تنعم بالحرية:

وما الفضل إلا للمدارس إنها مغارس مجد الشعب في كل أزمان

هي القلعة الكبرى هي الحصن في البلى يصد به حراسه كل طغيان[2]

ويصف لنا محمد السعيد الزاهري مشاعر الداعية، وما يلاقيه من متاعب وما يتعرض له من أذى وما يصيبه من شر، وما يشعر به من اغتراب وهو ينشر العلم في مجتمع يتحكم فيه الجهل، ويسيره الولاء الأعمى للطرق الصوفية:

لم أجد في الشقاء من هو أشقى بحياة من عالم محروم

بين قوم عمي البصائر صم ليس فيهم غير الجهول الأثيم[3]

ب- شعر الحنين إلى الماضي و استلهام الأمجاد والتمسك بالجذور التاريخية

من طبيعة الأمم في فترات نهوضها أن تلوذ بماضيها وتستوحي أمجادها السالفة، وتستحيي بطولاتها خاصة إذا كان هذا الماضي مجيدا، وفي هذا المضمار يلتفت محمد العيد إلى تاريخه المجيد يذَّكر المستنكفين عن ماضيهم، ويرد عليهم بالوقائع التاريخية الثابتة، وبالحجج الدامغة على عراقة بلاده الجزائر، وإيغالها في التاريخ، ويذكرهم بالمعالم البارزة، معددا الأماكن التي شهدت حضارة ومدنية مازالت آثارها ماثلة للعيان:

لا تقولوا هان الجدود فهنا ساء نشء له بهم سوء ظن

في تلمسان في بجاية في تيهرت في القلـــعة ازدهى كل فن

يوم كانت مهاجر الشرق والغر ب مثابا كمعهد وحصن

وعليها من الملك ذوي العز ة و البأس كل سهران فطن

---

[1] – أحمد سحنون: الديوان الجزء الأول، ط2، منشورات الحبر، الجزائر،2007،ص14.

[2] –إبراهيم أبو اليقظان: الديوان،ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية الجزائر،1989، ص129

[3] – محمد ناصر: الشعر الجزائري اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925–1975)، ص279 .

دعموا البر دعموا البحر بالأعلام من منشـــآت مدن وسفن[1]

أما الشاعر محمود بن دويدة فقد وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وقف ليس على أطلال الأحبة–كما فعل شعراء الجاهلية– ولكن على أطلال مجد العرب الضائع:

وقفت برسم العرب، وقفة خاشع وقلت: ضياعا ما نظمتم من الدر

معاهد كانت– والورى في جهالة– محط رحال العلم، والعز والنصر

فلله ربعا، كم حبا الغرب سؤددا، ومجدا يحار فيــه فتى الشعر

يقول: انظروا ما شيدت يد علمهم على الرغم مما غيرته يد الدهر

و يبكي ويستبكي، فيرسل أبحرا من الدمع حتى فاض دمعي على صدري[2]

ج– مواكبة الأحداث السياسية

كان الشعر من أهم المنابر المعبرة عن أفكار الحركات السياسية والجمعيات وقد اختار بعض الشعراء الانضواء تحت لواء الأحزاب، كما فعل مفدي زكريا، الذي انضم إلى حزب الشعب، ومحمد العيد الذي رابط في صف جمعية العلماء، وواكب بشعره كل القضايا السياسية التي خاضت معامعها، ومن القرارات السياسية المستفزة لجمعية العلماء، قرار إغلاق مساجد العاصمة في وجه القائمين بالوعظ والإرشاد من أعضاء الجمعية سنة1933 " هذا القرار الذي كان بإيعاز من رجال الدين الرسميين المناهضين للحركة الإصلاحية، وبتواطؤ مع النيابة الجزائرية"[3]

وقد عبر محمد العيد عن هذا الحدث، وأظهر وعيا سياسيا كبيرا ومطامح ثورية، يقول في هذا المجال ساخرا من النواب الذين يطأطئون رؤوسهم خضوعا لذوي السلطة، كاشفا مساوئ الاستعمار ونواياه البغيضة من غلق المساجد والمدارس:

أفدني برأي في النيابات هل حوت أساود في قاعاتها أم وسائدا

وإلا فما تلك السموم التي سرت فمن ذاق منها طأطأ الرأس هامدا

ألم يأتها أن المعابد حجرت على الذاكرين العامرين المعابدا

فيا نائبا ناب البلاد بحادث فخلف شعبا قائما فيه قاعدا

---

[1] – محمد العيد آل خليفة : الديوان، ص110/109.

[2] – صالح : خرفي الشعر الجزائري الحديث، ص105.

[3] – المرجع نفسه، ص193

على أي ظهر كنت سوطك منزلا وفي أي نحر كنت سيفك غامدا[1]

أما(مفدي زكريا) فيضع النقاط على الحروف في المأساة الحزبية والنيابية، ويعدد مظاهر بشاعتها، ويلتفت إلى ما آلت إليه السياسة في الجزائر من فوضى، وإلى من تجسمت فيهم من أقزام، وغربان وأبقار معممة، وإلى مجالات الصراع التي انحصرت في الجدران الملطخة بالشعارات، والمنابر المرفوعة للتهريج، والمستعمر على الربوة يجلس جلسة السلامة [2]:

وفي الجزائر نصابون، همهم على الدراهم مقصور ومحدود

وللزعامة دجالون ليس لهم من الزعامة إلا الخمر والغيد

وللشعائر هداجون، قد جثموا حول المقاصر أحلاس قنافيد

وفي المجالس أصنام، تحركها يد المعمر، تحميها التقاليد

وفي القيادة، أبقار معممة للعار تدفعها غربانها السود[3]

د- مواكبة نشاط جمعية العلماء

لقد كان وجود جمعية العلماء وفق أهدافها الإصلاحية المتمثلة في الإصلاح الشامل، كان مُلهما للشعراء الذين كانوا يتغنون زهوا بوجود هذه الجمعية، ويتابعون أعمالها ويشيدون بها، وقد كان محمد العيد لسان حالها دون منازع، فهو الذي يحيي بحماسة أعمالها، ويبرز دورها ومكانتها في حمل لواء المعرفة كما يتجلى ذلك في الكثير من قصائده، ومن أمثلة ذلك قصيدته (تحية العلماء) التي ألقاها احتفاء بانعقاد المؤتمر التأسيسي الأول للجمعية سنة1931:

على الرحب حلوا أجمعين على الرحب فأنتم ضيوف في حمى الله والشعب

طلعتم علينا كالكواكب في الدجى وسرتم إلينا كالسحائب في الجذب

بسطنا لكم منا قلوبا حفية فدوسوا عليها لا تدوسوا على الترب[4]

وقد منح الشاعر ثقته للجمعية وظل وفيا لمبادئها وأهدافها، حيث نجده في القصيدة نفسها يعرض آراءه التي تنسجم مع أهداف العلماء للدلالة على أنه جندي في صفوفهم:

---

[1] – محمد العيد : آل خليفة الديوان، ص97.

[2] – صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص181.

[3] – مفدي زكريا: اللهب المقدس، ط3، موفم للنشر، الجزائر،2000، ص266-267.

[4] – محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص147.

هنيئا لكم هذا اللقاء، فإنه بشير بما تبنون من راسخ الحب

فخطوا له منكم حدودا منيعة من العلم والشورى ومن صالح الكسب

وأبقوه للأجيال صرحا ممردا دليلا عليكم خالدا طيلة الحقب

أعيدوا على الإسلام هدي محمد بما كان يمليه على الآل والصحب[1]

ولأحمد سحنون قصيدة بعنوان (جمعية العلماء أدت رسالتها) يبرز فيها أهم الإنجازات التي حققتها الجمعية في مختلف الميادين:

(جمعية العلماء) أدت رسالتها رغم العوادي، ولم تبرح تؤديها

لم تألُ جهدا و لم تخضع لطاغية ولم تضق بأذى ممن يعاديها[2]

أما مفدي زكريا، فيرى أن جمعية العلماء هي أمل الشعب الوحيد في خلاصه وتحريره من العبودية والاستغلال، وبالتالي فهي جديرة بالثقة التي وضعها فيها الشعب، إذ يقول:

يا نشأة العلم، لا تقعد بكم همم عن الجهاد فإن الوقت محدود

كونوا الخلاص لشعب لا نصيب له ممـن يعذبه إلا المواعيد

وحطموا القيد والأغلال أن له فما وجسما: فموصود ومصفود[3]

الخصائص الفنية لشعر الاتجاه المحافظ

أولا– من حيث اللغة والأسلوب

أ – العناية بالموضوع

لم يتحدث النقاد في الجزائر كثيرا عن وظيفة الشعر في بداية النهضة كما هو الشأن في المشرق العربي، غير أن محمد الهادي الزاهري تناول القضية من زاوية أخرى"وهي زاوية ما إذا كان الشعر ضروريا للأمم أم لا.

فكان هذا الباحث لا يتصور أمة متقدمة أو متخلفة إلا إذا كان لها شعر وشعراء، وهذه نظرة نفعية إلى الشعر على أنه وسيلة إصلاح وتهذيب، يقول في تحديد دور الشعر والشعراء: "إذن

[1] – المصدر السابق، ص ن.

[2] – أحمد سحنون: الديوان، ص25.

[3] – مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص269–270.

فلنعلم أن الشعر والشعراء لا غنى لأية أمة عنهما، إذ بنتائجهما ينتج لنا كل ما نحن في حاجة إليه من سنن أخلاق واجتماع وتربية وتهذيب ..."[1].

وفي هذه الفترة انطلق رمضان حمود الذي كان معاصرا لذلك الشعر، وأدلى بدلوه فيه ناظما وناقدا، انطلق في مفهومه للتجربة الشعرية من شعوره ورؤيته بأن "يتحول الشعر من اهتمامه المسرف بالصنعة الشكلية، إلى اهتمام أكثر بالمضمون... مضمون يستوعب واقع الأمة العربية المضطهدة، ويتغنى بآلامها وآمالها، وأن الأَوْلَى بالشعراء عن هذا الشعر الذي يخدم الخواص وأرباب القصور، إلى شعر يقود الجماهير ويهتم بقضاياهم"[2].

وكانت دعوة حمود إلى الثورة على مضامين الشعر السائدة في عصره شاملة، فأنكر على الشعراء ما يلجأون إليه من التشطير والتخميس وأنواعهما، ورأى في ذلك ضربا من العبث فقال: " فمن شاء منكم التشطير فليشاطر مواطنيه في الأمور العظام والأعمال الجليلة ومن أراد المعارضة فليعارض الخونة سماسرة السوء. ويعاكسهم في أعمالهم الخبيثة. ومن كان له غرام بالاحتذاء فَلْيَحْتَذِ أجداده الكرام وأسلافه العظام في إبائهم ونخوتهم وعزهم وقوّتهم وسلطانهم، ومن تعلّقت نفسه بالمدح، فليمدح الأخلاق الفاضلة وينشرها بين قومه، ومن مال إلى الهجاء فليهج العادات الفاسدة، ويذم الرذيلة بأنواعها، ومن أحبّ التغزل فليتغزل في وطنه الجميل"[3].

وبعد أن جسّد حمود وظيفة الشعر ناقدا، يجسدها شاعرا بقوله:

وشعري كالحسام يصون عرضا بلا حرب عوان ولا قتال
يصادم من يعيث بمجد قومي ويطعن ذا الضلال بلا نزال
ويضرم فحمة الألباب حتما ويشعل أنفاسها أي اشتعال[4].

أما أبو اليقظان فإن رؤيته للشعر لا تختلف عمن سبقه، فقد انطلق في تعريفه للشعر وتحديد وظيفته – في مقدمة ديوانه– من ظروف بلاده وما تعانيه، فكانت نظرته نفعية تتوافق وما يتطلبه الشأن العام من ضرورة صيانة الدين والموروث الثقافي للشعب الجزائري بكل عناصره

[1] – محمد الهادي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، ص 26.
[2] – محمد ناصر: رمضان حمود حياته وشعره، ص62.
[3] – صالخ خرفي: رمضان حمود ، ص48–49.
[4] – المرجع نفسه، ص49.

ومكوناته، يقول: "فالشعر هو مظهر تظهر فيه مشاعر الأمة وتتجلى فيه أحوالها...الشعر في النفس نور مَثَلُ نوره (كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة) يرسل أشعته من نافذتها فيضيء بها بطون الليالي المقبلة مدى العصور، الشعر قالب تسبك فيه أغراض الإنسان وتصاغ فيه غاياته، الشعر خزانة البشر فيها تحفظ آثاره، وتصان مآثره وتدّخر فضائله... الشعر لسان الإنسان، فبه يذود عن الحمى ..."[1].

أما موقف شاعر الثورة مفدي زكريا من مضامين شعره فنجده في مقدمة ديوانه (اللهب المقدس) حيث يقول: "لم أعن في اللهب المقدس بالفن والصناعة، عنايتي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته المطلولة، والشعر الحق في نظري إلهام لا فن، وعفوية لا صناعة"[2].

وما يستنتج من هذه الأقوال أن موضوعات الشعر هي مطالب الوطن في ظل الاستعمار، وهي مدار الحركة الوطنية بجوانبها: الاجتماعي والثقافي والسياسي.

ب – الاقتباس من القرآن الكريم

انطلق الشعراء من موقف ديني واضح ينهلون من مصادر النهضة العربية ، خاصة من القرآن الكريم، "ولم يكن هذا الموقف إلزاما من الحركة الإصلاحية التي مثّلتها الجمعية بعد ذلك، بل كان التزاما تلقائيا ينبع من روح الشاعر المسلم نفسه، فإيمانه هو الذي يوجه شعره، وينظم حياته، ويبرز له معالم الطريق، ومن ثمة كان الشعر الإصلاحي شعرا هادفا لم يفارق روح الإسلام في موضوعاته التي كانت تنبثق من مشكاة واحدة، وتجتمع على هدف واحد هو الإسلام في هذا الوطن المدنس برجس الاستعمار وخرافة الطرقيين"[3].

ويرجع سبب ذلك إلى طبيعة تكوين هؤلاء الشعراء الذين تخرج أكثرهم من جامعة الزيتونة التي كانت أكثر استقطابا للطلاب الجزائريين في فترة الدراسة لسهولة الوصول إليها، وتوفر الدراسة باللغة العربية بها، ولأن التعليم في تلك المعاهد لم يكن يختلف في مواده عما كان يقدم في الزوايا والكتاتيب، إضافة إلى كون العاصمة التونسية تعج بالأفكار الإصلاحية المتأثرة بمحمد عبده،

---

[1] – إبراهيم أبو اليقظان: الديوان ج1، ص53.

[2] – مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص4

[3] – محمد كناي: الشعر الإصلاحي الجزائري الحديث (قضاياه المعنوية والفنية 1925–1962)، ص228.

الأمر الذي جعل رواد الشعر الجزائري الحديث يتشابهون في الاتجاه والتفكير، ويتقاربون في الأساليب وطرق التعبير[1].

ونظرا للأسباب السالفة الذكر، فقد ظهر التأثر بالقرآن الكريم في الشعر الجزائري الحديث إلى حدّ بعيد، سواء في الألفاظ والعبارات أو في الصور، وهذا أمر طبيعي نظرا لثقافة الشعراء الدينية.

و بجولة قصيرة في دواوين بعض الشعراء، ندرك مدى شيوع الألفاظ القرآنية في قصائدهم، إما تضمينا، وإما اقتباسا أو لفظا صريحا.

ج- توظيف الموروث الشعري القديم

يمثل التراث مرجعية معرفية للشعراء الجزائريين زمن الحركة الوطنية، لذا فإن العلاقة بينهما علاقة تلازم، ومن مظاهر هذا التلازم، أن الموروث الشعري القديم يمثل الظلال الوارفة لنصوصهم، فلم يقتصر الاقتباس على القرآن الكريم وحده، وإنما شمل التراث الأدبي القديم لاسيما الموروث الشعري ومحاكاته، وهذه الظاهرة ليست من خصائص اللغة الشعرية عند شعراء المدرسة التقليدية فحسب، بل هي موجودة بشكل جلي عند جيل الثورة.

وتتجلى منذ بداية النهضة الجزائرية لدى رمضان حمود في قوله:

أعانق الحق في قول وفي عمل وأنهض القوم، إن مالوا إلى الكسل
فلا أداهن قومي إن هم اقترفوا ذنبا يُلابس وجه الحق بالخجل
ولا أعيش بأرض الذل مكتئبا فالذل من شيمة الأنذال و السفل[2]

فالشاعر يدعو إلى النهضة ويرفض الذل ويحث قومه على مواجهته، ولا يداري قومه، وقد قلّد الطغرائي* في الاعتزاز بالنفس والثقة بها واحتقار الأخطار وتحدي الصعاب وهذه القطعة فيها الكثير من معاني قصيدة الطغرائي (لامية العجم) وألفاظها والتي يقول فيها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

---

[1] - ينظر محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه، ص42.

[2] - محمد الهادي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص 288.

* - الطغرائي (الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، شاعر ولد بأصبهان وعاش بين (849-911هـ -1495-1505م) أشهر شعره قصيدة (لامية العجم)، تنظر ترجتمه في: جلال الدين السيوطي: شرح لامية العجم للطغرائي، تدقيق، أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1923، ص3.

مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

و إنما رجل الدنيا و واحدها من لا يعوّل في الدنيا على رجل[1]

ولمفدي زكريا قدم راسخة في توظيف التراث الشعري القديم لفظا ومعنى، يقول في قصيدة ألا في سبيل المجد:

ألا في سبيل المجد سعيي وأعمالي و لله ما لاقيت من غُمر أهوال

و لو أنما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلا من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي[2]

فقد نسج الشاعر قصيدته على منوال البحر الطويل وعلى حرف الروي (اللام) وعلى نفس قافية قصيدة امرئ القيس التي أخذ الشاعر منها البيتين الثاني والثالث ومطلعها:

ألا عِمْ صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي[3]

ولمحمد العيد علاقة كبيرة بالتراث ولشعره ارتباط كبير بالمعجم الشعري القديم على الرغم من أنه عالج موضوعات حديثة، ومن أمثلة شعره الذي يشبه معجم القصيدة القديمة بكل خصائصها الفنية، قوله في قصيدة (يا فتية العلم شُدُّوا العزم):

اليوم أُسدي على نول من الأدب مطارفي من خيوط الشمس للشهب

اليوم أهدي تحياتي وموعظتي إلى العباقرة الصيابة النُّخب

النازلين كقطر الغيث منسكبا في ظل قطر لهم بالبشر منسكب

الزاحفين لغارات النهى طلبا والجامعين عليها الهمَّ في الطلب[4]

فالمتأمل لكثير من الكلمات التي شكّل بها الشاعر هذه المقطوعة يدرك أنها كانت متداولة في شعر أبي تمام والمتنبي و غيرهما مثل (الشهب ومطارفي وخيوط الشمس) هذا بالإضافة إلى القدرة على التصوير التي تجلت في التشبيه المفصل المستوفي الأركان (تشبيه العباقرة بقطر الغيث)، وفي طريقة تحسين الكلام كالتصريع في البيت الأول، والجناس الناقص في

---

[1] – محمد الهادي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص5.

[2] – المصدر نفسه، ص259.

[3] – المصدر نفسه، هامش الصفحة 259.

[4] – محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص231.

البيت الثالث بين (قِطْر وقُطْر)، ضِفْ إلى ذلك جزالة اللفظ في قوله: (العباقرة والصيابة والنازلين والزاحفين) وبناء القصيدة على حرف الباء رويا، وكأن القارئ مع بائية أبي تمام في وصف معركة عمورية*، وفي قصيدة (استوح شعرك) يقول محمد العيد:

د – النبرة الخطابية والأسلوب المباشر

المقصود بالنبرة الخطابية هو شيوع أساليب بعينها في الشعر الجزائري الحديث، وهذه الأساليب تحمل من خصائص الخطابة أكثر مما تحمل من خصائص الشعر.

وحينما نتصفح دواوين معظم شعراء الجزائر في العصر الحديث، ندرك مدى شيوع هذه الظاهرة، وأن الفرق بين أساليبها وبين أساليب الخطابة هو الوزن والقافية الملتزمة فقط، حيث تسيطر كثير من العناصر التي توحي بذلك مثل: الوضوح الذي يكتسي جلّ القصائد، واستعمال أحرف التنبيه والمزاوجة بين الأسلوبين الخبري وعناصر توكيده، وبين الأسلوب الإنشائي، حيث يكثر النداء والاستفهام والأمر والنهي، وتعدد أغراض هذه الأساليب حسب الحالات النفسية للشعراء.

يكثر هذا في كتاب: شعراء الجزائر في العصر الحاضر الذي أعده محمد الهادي الزاهري، وفي دواوين: محمد العيد و مفدي زكريا وأحمد سحنون وإبراهيم أبي اليقظان وصالح خرفي وغيرهم.

فقد مثل الشعر آراء هؤلاء الشعراء في الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والتحرر الوطني، فكان أسلوبهم خطابيا إنشائيا فيه صيغ الأمر والنهي والتوكيد، ونظرا لصلته العميقة بالجمهور، ولغايته التعليمية، فإنه يتبنى الآراء الشائعة والقريبة من مستوى الجمهور نفسها[1]. وقد ورد مثل هذا في فاتحة كتاب (شعراء الجزائر) يقول معدّ الكتاب:

يا فتية نادمت في ظل النهى وشربت في كأسهم إبريقا
و سألتهم شعرا يؤلف عقده من كل معنى في الشعور دقيقا

---

* – معركة عمورية: كانت بين الخليفة العباسي المعتصم بالله الذي حكم بين (218–227هـ)، وإمبراطور الروم تيوفيل بن ميخائيل، وتحقق النصر المبين فيها للمسلمين.

[1]– ينظر: أحمد شرفي: الشعر الوطني الجزائري من 1925 حتى 1954، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1978–1979، ص189.

فتسابقوا دُرَرَ البيان وأَرْسَلوا في الشعر معنى لم يكن مطروقا

يا من هببت بهم فكانوا سُبَّقا لم تُلْفِ بينهم فتى مسبوقا[1]

وفي الأبيات إشادة كبيرة بمن دعاهم الشاعر إلى إرسال شعرهم إليه، لإنجاز أول ديوان يحفظ تراث الجزائر في زمن عصيب، فلبوا سِراعا مراعين في شعرهم ما تتطلبه المرحلة منهم، وهو أن يكونوا ملتزمين بالعمل على ما يُحيي العباد ويُحرر البلاد.

وهي النظرة نفسها يرددها محمد اللقاني بن السائح موجها شعره (إلى رجال العمل إلى الشباب) ناقلا صرخة استغاثة من الجزائر الجريحة إلى من يُحييها بالعمل ونشر العلم:

إليكم أيها النبلاء إليكم تردد أمكم صوتا حزينا

سراعا للتجاذب والتآخي وكونوا على الولاء متعاهدينا

ومنا أيها العظماء شكر به نجزي جزاء المحسنينا[2]

فالشاعر يردد أساليب الخطابة مثل الأمر بصيغه المختلفة (إليكم، سِراعا، كونوا) والنداء (أيها) كما يفعل الخطيب أمام الجمهور، و يوجه النصح ويبشر بالجزاء، لكون الموضوع من القضايا الهامة ذات الصلة بالحياة اليومية، التي واجهها المجتمع الجزائري في بداية نهضته "وقد كانت العناية بتلك القضايا واجبا وطنيا، ومظهرا للنهضة الأدبية والسياسية في الوقت نفسه"[3].

ومرجِع ذلك هو أن المجتمع الذي يخاطبه الشاعر مجتمع أغلبه أُمِّيّ في حاجة إلى تربية وتكوين، اجتماعيا وسياسيا، أكثر مما هو في حاجة إلى الفن والجمال.

ولمحمد العيد قصيدة بعنوان (بُشرى للجزائر) بمناسبة افتتاح دار الطلبة التابعة لمعهد عبد الحميد ابن باديس سنة 1953 منها:

يا معشر السروات هذا محفل نهضت به الآمال من عثراتها

فتبرّعوا بالمال فيه لمعهد حرّ، ودار أسندته بذاتها

وتسابقوا في الصالحات فإنكم أهل لنيل السبق في حلباتها

---

[1] – محمد الهادي الزاهري السنوسي: شعراء الجزائر، في العصر الحاضر، ج1، ص62.

[2] – المصدر نفسه، ص114.

[3] – أحمد شرفي: الشعر الوطني الجزائري من 1925 حتى 1954، ص258.

أنتم صناديد الجزائر، فابعثوا مجد الجزائر واهتفوا بحياتها[1]

ولأحمد سحنون قدم راسخة في توظيف مثل هذه الأساليب الخطابية، من أمثلة ذلك: قصائده (إلى المعلم وإلى التلميذ وكشّاف وإلى الشاعر وجمعية العلماء أدت رسالتها)[2]، فلا تكاد قصيدة من هذه القصائد تخلو من استعمال التراكيب الإنشائية من استفهام ونداء وتعجب وأمر ونهي ونحو ذلك للتفاعل مع المتلقي، وكمثال على ذلك، قصيدته (إلى المعلم) التي جاء فيها:

هات من نشء الحِمى خير عتاد وأدخرهم لغد جـــــند جهاد
هاتـه نـشئا قـــــويا، باســـــلا إن دجا خطب يكن أول فـادي
حُطْهُ بالإسلام من كـــــل أذى واحْمِهِ بالخـُلق من كل فساد
واهده بالعلم فالـــــعلم ســـنى ومن القـــــرآن، زوِّده بزاد
صُغْهُ للإسلام نبراس هـــــدى ومثالا من كل ذكاء واجتهاد[3]

وتعليل شيوع هذه الظاهرة هو أن شعراء الجزائر وجدوا أنفسهم في مواجهة المرحلة التاريخية الصعبة وهي مرحلة الاستدمار، الذي كان الشعراءُ أنفسُهم أَوَّلَ ضحاياه، فالتزموا خط الحركة الإصلاحية لإيصال أصواتهم إلى الجزائريين من أجل تحديد المواقف

وهناك سبب آخر وهو ارتباط هذا الشعر بالمناسبات الدينية والاجتماعية والسياسية التي كانت جمعية العلماء تعقدها.

وخلاصة القول إن اللغة الشعرية عند الشعراء سواء قبل الثورة التحريرية أو بعدها لها جوانب إيجابية وأخري سلبية، فمن إيجابياتها حسن توظيفها وسلامتها وقوة سبكها، وقربها من الأفهام، فلم يتكلف أصحابها الجري وراء الغريب منها، وهذا لا يتنافى ومبدأ البلاغة كما ورد عند الجاحظ: "لا

[1] – محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 213.
[2] – ينظر: أحمد سحنون: الديوان، ص 14-16-18-20-25.
[3] – المصدر نفسه، ص14.

يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[1].

ثانيا – من حيث الصورة الشعرية

ولم يغفل الشعراء الجزائريون في العصر الحديث أهمية الصورة في الشعر فقد تفطن إبراهيم أبو اليقظان إلى ذلك حيث قال: "على الشاعر أن يكون مطمئن الخاطر مرتاح البال غير مشغول بما يشوه مرآة خياله التي يجب أن تكون في غاية ما يكون من النقاوة والصفاء، لترتسم فيها الحقائق وتتراءى له فيها اللطائف والدقائق"[2].

وجاءت نظرة النقاد الجزائريين إلى الصورة الشعرية أقرب إلى توجه الشعراء كما نلمس ذلك في مفهوم الصورة عند عبد الملك مرتاض إذ يقول: "هي شيء يجنح نحو تقريب حقيقتين متباعدتين"[3].

والمتصفح لدواوين شعراء المدرسة المحافظة يلاحظ إن أغلب الصور الشعرية في القصائد العمودية مأخوذة من ثقافة الشعراء الدينية والأدبية، فهي منبثقة من القرآن الكريم، أو من الأدب العربي القديم، أو من مدرسة الإحياء، أو مستمدة من طبيعة الجزائر الخلابة أحيانا، يطغى عليها التشبيه والاستعارة والكناية، مع قليل من الرموز التراثية والتاريخية، لأن الظروف جعلت الشعراء يحتذون النماذج التراثية في أشكالها وصورها ويعترون الخروج عن مقاييس القدماء ردة ثقافية.

ثالثا – من حيث الموسيقى الشعرية

أما التشكيل الموسيقي للشعر الجزائري الحديث، فمن حيث الموسيقى الداخلية، اعتمد الشعراء الكلمات ذات الشحنات الانفعالية المصبوبة في قوالب التجربة الشعرية ، مستغلين ما للغة العربية من ثراء، فكثر التجنيس والطباق والمقابلة، واعتماد حروف معينة في الكلمة وكلمات معينة في البيت لتحقيق الأثر الذي يريدونه في المتلقي.

---

[1] – الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن محبوب): البيان والتبيين،ج1، ط5، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1985، ص 115.

[2] – إبراهيم أبو اليقظان، الديوان،ج1 ،ص61.

[3] – عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري (دراسة تشريحية لقصيدة "أشجان يمانية" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991، ص49.

أما من حيث الموسيقى الخارجية فقد ظلت روح القصيدة القديمة مسيطرة في الغالب، مع بعض الجوانب التجديدية البسيطة، وسيطرت البحور (الكامل الخفيف الرمل البسيط والطويل) على القصائد، مع قليل من الاهتمام بالبحور المجزوءة، التي تناسب الأناشيد الثورية، ولم نلاحظ التحرر من ذلك إلا مع شعراء الثورة وكان ذلك نسبيا للغاية.

وإن قيل عن هذا الشعر على إنه لا يمثل الجودة الفنية المرجوة ، فحسبه أنه انتصر للمضمون، في زمن كان الوطن ينادي الشاعر إلى نجدته.

المحاضرة السادسة: الشعر الثوري

عاصر الشعر الجزائري مراحل الاحتلال وحمل الهموم الحضارية والاجتماعية والسياسية للوطن والشعب، وكان يحمل كذلك بذور الثورة بما مثله من قلق وشكوى ونقمة. ولم يكن هذا الشعر غائبا عن المقاومة منذ بداية الاحتلال، ومن يطلع على كتاب عبد الملك مرتاض (أدب المقاومة الوطنية في الجزائر...)، وكتاب عبد الله ركيبي (الشعر الديني الجزائري الحديث) و كتاب نور سلمان (الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير)، من يطلع على هذه الكتب، تعطيه صورة عن إرهاصات هذه المقاومة والنضال عند شعراء الجزائر قبل النهضة سنة 1925.

وبناء على ذلك فإن ثورة التحرير الكبرى لم تكن وليدة 1954، وإنما بدأ التحضير لها في وقت مبكر، وتنبأ بها الشعراء قبل وقعها بعقود، وقد أشار إلى هذه القضية أكثر من شاعر أو ناقد، يقول حمزة بوكوشة: "إن للشعر تنبؤات صادقة كالرؤيا الصالحة، تأتي كفلق الصبح المبين، وأن للشعر وحيا وإلهاما يصدقه الواقع ولو بعد سنين... والشعراء في كل أمة من الأمم هم حُدَّاتُها إلى المجد القديم والنعيم المقيم ودعاتها إلى الثورة على العبودية، والتمتع بالحرية، وهُداتها إذا اشتبكت المسالك والدروب، وهم المعبرون عما تكنه الأمة في ضميرها بصدق وحكمة"[1].

ويقول عبد الملك مرتاض: "فهذه الثورة العظيمة وقع التحضير لها على امتداد خمسة وثلاثين عاما على الأقل، أي منذ ظهور حركة الإصلاح للأمير خالد عام 1919 إلى عام 1954"[2].

وتقول الدكتورة نور سلمان: "حمل الشعر قبيل الثورة إرهاصاتها، معبرا عن النقمة والتململ الرافض. فصور الأوضاع الفاسدة، والقلق والتوتر، وساهم في الدعوة إلى الوثبة، مجاهرا بتسميتها وثبة كفاح وحرب بعد أن قصر الكلام والحوار السياسي عن تحقيق الهدف"[3].

ويقول الدكتور عبد الله ركيبي: "ربما لا يعرف الكثير من الناس، أن الشعر الجزائري قد أرهص بالثورة وتكهن بها، بل ودعا إليها بصراحة في أغلب الأحيان، ورمز إليها في بعض

---

[1]– حمزة بوكوشة (تنبؤات الشعراء. أو من جبالنا) البصائر، العدد 358 ليوم الجمعة 3 شعبان 1375هـ، الموافق ل: 16 مارس 1956م، ص2.

[2]– عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830–1962، ج1، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 15

[3]– نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص324.

الأحيان الأخرى...وإنه من أغرب وثبات الخيال في هذا الشعر أن يتكهن حتى بمكان الثورة، وبانطلاقها من الجبال"[1].

ويمكن تقسيم شعر الثورة الجزائرية إلى المراحل التالية:

1-شعر الإرهاص الثوري

أطل هذا الشعر مبكرا في شعر العشرينيات والمتصفح لكتاب"شعراء الجزائر في العصر الحاضر" لمحمد الهادي السنوسي الزاهري يقف على الكثير من النماذج التي ترهص للثورة مثل: قصيدة أبي اليقظان الموسومة ب: (مدارج الخلاص والتحرير إنما الدنيا جهاد) التي يقول فيها:

ابن صرح المجد عن أسِّ الضحايا وأشِدْ عرش العُلا رغم البلايا

خُضْ غمار الهول غوصا إنما لؤلؤ التيجان في بحر المنايا

إن في الموت لِطُلاَّبِ العلا لحياة، لا حياة أهل الدنايا

إنما الدنيا جهاد، من ينم يومه، داسته أقدام الرزايا

ولنيل الحق أدوار غدت خطوات، خاضها كل البرايا

فأنين ... فكلام... فصياح فخصام ...فجلاد...فسرايا[2]

وقد ألقاها إثر حوادث دمشق الفظيعة، والقصيدة وهي تنطوي على نزعة ثورية قوية "وإن القارئ لها ليعجب من جرأة صاحبها، فهي دعوة صريحة إلى شن نار الثورة ضد المستعمرين الفرنسين"[3].

وقد استهلها الشاعر بالدعوة إلى خوض غمار الحرب وبناء صرح المجد على جثث الشهداء، وإلى طلب الموت وعدم القبول بحياة الذل، لأن الدنيا جهاد مستمر لمن لا يريد العيش تحت أقدام الظلم، وأن نيل الحقوق المغتصبة طريقه واضح المعالم خاضته جميع الشعوب وهو الحرب.

---

[1] – عبد الله ركيبي:دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص54.

[2] – محمد الهادي الزاهري السنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص 209.

[3] – محمد ناصر: مقدمة ديوان إبراهيم أبي اليقظان، ج1، ، نشر جمعية التراث، العطف، غرداية، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر. ط2، 1989، ص21.

ثم يوضح طريق التحرر وما يتطلبه من ثمن باهض لأنه في عصور الاستعمار يكون أول من يستهدف حملة الأقلام، فيعمد البغاة إلى تقييد حرية الفكر، والتنكيل بأصحابه حتى لا تتنور الشعوب بالعلم، فيكون السجن والتشريد والمشانق هي طريق كل من يفكر في الحرية، وهي قربان الاستقلال والشعب الذي لا يقبل بدفع هذا الثمن لا يحقق مراده:

ليس حكم النفي، والسجن، ولا الحكم بالشنق له إلا مطايا
أي شعب نال ما نال إذا لم يقدم سلفا تلك الهدايا
أي شعب نال حريته وهو لم يطلع لها تلك الثنايا[1]

وفي نفس الفترة يطالعنا محمد السعيد الزاهري الذي كان مثالا بأدبه في الإرهاص للثورة، ونموذجا ناذرا في حبه لبلاده ولأبناء وطنه وقضيته، في قصيدة ألقاها بمناسبة صدور العدد الأول من جريدة (الجزائر) موسومة ب (الجزائر تحييّ الجزائر) وهي وإن كانت أقل حدّة من قصيدة أبي اليقظان، في غلبة النزعة الفردية الذاتية عليها، فإنها تحمل الكثير من الإشارات الثورية، يستهلها بقوله أنه يسعى إلى المجد وإلى العلياء، فإن نال ما يريد، فهو يصبو إلى ذلك، وإن مات قبل تحقيق مراده، فقد سار على سنة سنها من قبله:

ألا في سبيل المجد حلى وترحالي ومسعاي في العلياء والشرف العالي
فإن نلت ما أبغي فذاك، وإن أمت فكم مات من دون المنى قبل أمثالي[2]

ثم يتدرج الشاعر في خطابه متحسرا على ما آل إليه وضع قومه من سوء، وأي قوم يقصدهم؟ أحرار الجزائر، أَيْ أبناء الوطن الذين يشكو من تقصيرهم في السعي لنيل حقوقهم المشروعة ويتساءل متى سيكسرون الأغلال المحاطة بأعناقهم لينعموا بالحرية، ويستنشقوا نسيم الاستقلال كما فعل غيرهم من الأحرار:

ويا ويح أحرار الجزائر كم.. وكم يهيج عليهم من هموم و بلبال
لقد كسَر الناس القيود وحطَّموا ونحن بقينا في قيود وأغلال[3]

[1] – المصدر السابق، ص 209.
[2] – المصدر نفسه، ص147.
[3] – المصدر نفسه، ص147

وفي قصيدة نشرت سنة 1932، يتوجه مفدي زكريا إلى الشباب الجزائري، يحثه على نجدة وطنه الذي تداولت عليه الخطوب، وتناوبت عليه المصائب جراء الاستعمار الغاشم، فقد عمّ الجهل البلاد وفسدت طبائع الناس، فلا ترى فيها غير المفسدين والمنافقين والقابعين المستسلمين للأمر الواقع:

شباب الجزائر والقلب دام ألا من مغيث ومن منجد
تضافرت القارعات الشداد وتاه البصير مع الأرمد
وحاق البلاء، وعم العذاب وفي الجيد حبل من المسد
وليل الجهالات أودى بنا إلى الموت قسرا ولم نلحد
فما إن ترى غير داعي الضلال فمن ذي نفاق ومن ملحد[1]

2 – شعر النضال والتأهب الثوري

لقد أصبح شعراء الجزائر جزءا رئيسيا من جبهة التصدي للاستعمار، ورفع الشعر لواء الثورة قبل وقوعها بزمن طويل، فخاض الشعر غمار الحرب وهي ما تزال حبيسة النفوس التي كانت تمور بها، وتنتظر لحظة الانفجار، وأصبح الموضوع الذي تدور حوله جميع أعمال الشعراء هو كيفية مقاومة المستعمر والوصول إلى الثورة وتحرير البلاد.

وحين نتتبع مظاهر أسلوب النضال الشعري في مواجهة الاستعمار، يمكن تقسيم المرحلة إلى قسمين:

أ – شعر النضال قبل سنة 1945م.

وتمتد هذه المرحلة بين (1936–1945) ويطلق عليها أبو القاسم سعد الله اسم مرحلة شعر البناء[2].

كان التعنت الاستعماري دائما يدفع الجزائريين إلى المواقف الثورية، وقد تجسم هذا التعنت في كثير من المواقف الاستفزازية التي وقفتها الإدارة الفرنسية في وجه نشاط رجال الحركة الإصلاحية كالقرار الذي أصدره عامل الجزائر عام 1933، الذي يرمي إلى إيقاف نشاط المصلح الخطيب

[1]– مفدي زكريا: أمجادنا تتكلم، جمع وتحقيق، مصطفى بن الحاج بكيرة حمودة، نشر مؤسسة مفدي زكريا والوكالة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2003، ص 67–69.

[2]– ينظر: المرجع انفسه، ص36.

الشيخ (الطيب العقبي) في الوعظ والإرشاد، وقد أثار القرار موجة من الاستياء الشعبي كاد يفضي إلى ثورة شعبية حيث " تجاوزت الحادثة الجزئية إلى التلويح بمطامح سياسية، والتوعد بمواقف ثورية. وأفضل ما يعبر عن هذه المشاعر المحتبسة في النفوس، هذه الأبيات للشاعر محمد العيد التي تصور الثورة الكامنة في المُهَجِ، يوشك أن يكون لها ضرام، وهي مأخوذة من قصيدة (براك الله للذكرى حساما) ألقاها في الحفلة التي أقامها نادي الترقي لجمعية العلماء بمناسبة ما قرّره مجلس إدارتها من خروج وفودها للوعظ والإرشاد متحدّين الإدارة الاستعمارية، يقول الشاعر سنة 1936:

أرى الأنفاس مرهقة بجوٍّ كمثل الغاز، يوسعها بخنق
يدوّي بالوعيد دويّ رعد ويومض بالردى إيماض برق
أيوثق بالأداهم كل كف ويوطأ بالمناسم كل عنق؟
فمهلا يا زمان البغي مهلا فقد أعيا كواهلنا التلقي[1] ؟

أما الحادثة الثانية التي يتجلى فيها استفزاز الاستعمار للشعب ودفعه إلى الثورة، فهي التهمة التي وُجهت للطيب العقبي سنة 1936 باغتيال مفتي الجزائر الرسمي (ابن دالي عمر) المعروف بالمفتي كحول الذي كان مناوئا لجمعية العلماء، فقد ألصقت التهمة بالشيخ الطيب العقبي، وزُجَّ به في سجن بربروس "وقد ظلت محاكمات هذه القضية سارية حتى سنة 1939، وتجسم فيها أبشع مثل للتواطؤ بين إدارة الأمور الأهلية ورجال الدين الرسميين لضرب الحركة الإصلاحية"[2]، وشغلت القضية الشعراء والجماهير "التي ظلت تروح وتغدو على (نادي الترقي) متسائلة مستفسرة عن مصير زعيم حركتها، وخطيب ناديها، تتميز من الغيظ والغضب وقد صور محمد العيد هذا الموقف في قصيدة (حزب مصلح) سنة 1936:

من رأى الأشياخ ، تُملي وتُمضي وتـــجيل الرأي فيما تجيل
من رأى الشبان هاجوا وماجوا وانبروا كالأسد إن غيل فغيل
من رأى الشعب يروح ويغـدو ولـــــــه مثل الحمام هديل
ومن الأبصار شزر وخـزر ومن الأفواه قال وقيـــــل

[1] – محمد العيد آل خليفة:: الديوان، ص83.
[2] – صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص194.

لو تركنا الحزم فـيها فتنة فيها الدمـاء تســيل[1]

وفي هذا الشأن يقول عبد الله ركيبي: "وقد يعجب الدارس للشعر الجزائري –في هذه الفترة– عندما يعثر على شعراء يدعون دعوة صريحة إلى الجهاد والنضال، و ينادون بالكفاح من أجل الوطن، ذلك لأن الشعر في معظم أحيانه يدعو إلى النهوض والتحرر ولكن في هدوء واتزان، وغير ما عنف أو قوة"[2].

ويستدل على ذلك بأمير شعراء الجزائر (محمد العيد) الذي كان يتألم كثيرا باسم الشعب لما أصاب البلاد من رزايا، ويصور ضيق الشعب بأغلال الاستعمار وبدسائسه ومكائده في قصيدته (ذكرى المؤتمر) التي أنشدت في الذكرى الأولى للمؤتمر الإسلامي في شهر أوت سنة 1937:

فقم يا ابن البلاد اليوم وانهض بلا مهل فقد طال الرقود

وقل يا ابن البلاد لكل لص تجلى الصبح وانتبه الرقود

فخض يا ابن الجزائر في المنايا تظللك البنود أو اللحود

بغى الباغي رداك فخاب سعيا وللباغي الردى ولك الخلود[3]

ب– شعر النضال بعد سنة 1945

كان الأدب ومنه الشعر في مرحلة ما بعد 1945 مرآة عكست ما تَمُور به نفوس الشعب الجزائري من عواطف وانفعالات، وسلاحا نضاليا عبّر عن آماله وآلامه في هذه الفترة الحُبلى بالأحداث. وكان أهم حدث زلزل النفوس هو الكيفية التي واجهت بها فرنسا المتظاهرين الجزائريين في ثامن ماي 1945، الذي أسال الكثير من الدماء، وترك في نفس كل جزائري جراحا لا تندمل وذكرى لا تنسى. ويطلق أبو القاسم سعد الله على هذه المرحلة اسم شعر الهدف. وبسبب هذه المأساة "ظهرت في أفق الجزائر ألحان الحرية والضحايا والاستقلال والعلم

[1] – محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص130.

[2] – عبد الله ركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص21.

[3] – المرجع نفسه، ص304 – 305.

الرفراف، إلى آخر هذه الرموز المقدسة لدى الشعب، التي لم تكن لتظهر لولا التطور الكفاحي الذي كان يدنو من الهدف"[1].

وبسبب هذه المأساة "ظهرت في أفق الجزائر ألحان الحرية والضحايا والاستقلال والعلم الرفراف، إلى آخر هذه الرموز المقدسة لدى الشعب، التي لم تكن لتظهر لولا التطور الكفاحي الذي كان يدنو من الهدف".[2]

وفي هذه الحادثة "اكتسب الشعب الجزائري تجربة جديدة نبهته إلى الحقيقة المرة وهي أنه لا أمل في التحرر من غير سلاح.

لقد استقبل الشعراء حوادث الثامن ماي بالوجوم الذي يسبق العاصفة، وساد الساحة الأدبية صمت كبير، حتى تساءل بعض النقاد: هل في الجزائر شعراء؟ جاء ذلك في مقال للكاتب حمزة بوكوشة نشرته جريدة البصائر سنة 1949: "سؤال يكاد الإنسان يجيب عنه بديهيا بأن في الجزائر شعراء كثيرين ، لكن إذا أمعن المسئول النظر فيه وتعمق في فهمه، يجيب بقول الشاعر:

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير لكن لا أرى أحدا

هذا إذا استثنينا محمد العيد وطبقته، تلك الطبقة الغابرة الدابرة التي نشأت مع الحركة الإصلاحية في مبدأ تكوينها"[3].

فقد أطل علينا محمد العيد في الذكرى الثالثة لحوادث الثامن ماي بقصيدة (لا أنسى) التي تفيض ألما وحقدا، وبُغظا شديدا للعدو، بدأها بتصوير أثر الحادثة على نفسه، وما أحدثته من جرح أفقده توازنه وقدرته على التعبير:

أأكتم وجدي أو أهدئ إحساسي و (ثامن ماي) جرحه ما له آسي

وأرقب ممن أحدثوه ضماده وهم في جماح لم يميلوا لإسلاس

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف جرائم الاستعمار المادية المروعة التي ارتكبها في حق الشعب الجزائري الأعزل، هذه الجرائم التي كذبت مزاعم فرنسا الحضارة، وفنّدت وادعاءاتها ووعودها الكاذبة، فقد أُخْليت الديار من أهلها، وسيق الأحياء إلى القبور بقسوة كبيرهم وصغيرهم،

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص43.

[2] – المرجع نفسه، ص43.

[3] – حمزة بوكوشة: (هل في الجزائر شعراء) جريدة البصائر، ع85، الإثنين 7 رمضان 1368هـ/4جويلية 1949م.ص8.

وفتحت السجون والمحتشدات للآلاف منهم، واستبيحت حرمات النساء وجرّدن من حليهن من غير وازع، في منظر بشع لم ير التاريخ مثله، يقول:

فضائع (ماي) كذبت كل مزعم لهم ورمت ما روّجوه بإفلاس
ديار من السكان تخلى نكاية وعسفا وأحياء تساق لأرماس
وشيب وشبان يسامون ذلة بأنواع مكر لا تحدّ بمقياس
وأحباس شر أجمعت سجناؤها ومعتقلوها أنها شرّ أحباس
ومعتقلات في العراء مبيدة عليها لصوص في ملابس حراس
وغيد من البيض الحسان أوانس تهان على أيدي أراذل انكاس
ويسلبن من حلي لهن مرصع بكل كريم من جمان وألأماس
وينكبن في عرض لهم مطهر مصون الحواشي طيب العرف كالآس
فيا لك من خطب تعذر وصفه فلم تجر أقلام بـه فوق أطراس[1]

إلى أن يقول:

ولا خير في عدّ المظالم وحدها إذا لم نبن عن مرهفات وأتراس
سئمنا من الشكوى إلى غير راحم وغير محقّ، لا يدين بمقياس[2]

ومن الشعراء الذين سجلوا هذا الحدث التاريخي الهام في شعرهم الربيع بوشامة، فقد تحدث بإسهاب عن نكبة الثامن ماي وفجّر ينابيع الإحساس الأليم في قصيدة (عجبا لوجهك كيف عاد لحاله)، فبدأ قصيدته بالدعاء على هذا الشهر، الذي أصبح رمزا للفاجعة لهول ما حدث فيه من مجازر تشيب لها النواصي وتذوب الأكباد:

قُبِّحت من شهر مدى الأعوام يا (ماي) كم فجعت من الأقوام
شابت لهولك في الجزائر صبية وَ انْمَاع صخر من أذاك الطامي
وتفطّرت أكباد كل رحيمة في الكون حتى مهجة الأيام[3]

3 – شعر الثورة والتحرر

[1] – محمد العيد آل خليفة: المصدر السابق، ص326.
[2] – المصدر نفسه، ص326.
[3] – الربيع بوشامة: الديوان، ص58.

لقد التزم الشعر الجزائري بقضايا التحرر الوطني منذ الغزو الفرنسي، ولعل ما يؤكد هذا هو ما قاله الأمير عبد القادر في معاركه ضد الفرنسيين، فمعظم قصائده كانت تدور حول الحرب والبطولات العربية. وفي مثل هذا السياق قال عبد الله ركيبي: " من عاش قبل الثورة واطلع على ما كتب من شعر ونثر يدرك بأن أدب ما قبل الثورة قد مهّد للفكر الثوري الذي ظهر في ثورة نوفمبر1954، لأنه لا ثورة دون فكر ثوري سابق لها"[1]. ويضيف: "والذين يزعمون أن أدباء الثورة لم يلعبوا دورهم كما ينبغي يبالغون في أحكامهم...لأن الأديب لا يمكن أن نطلب منه أن يكتب غير ما كتب نظرا للظروف التي كان يعيشها"[2].

أما الشعراء ، فمعظمهم كان له باع أو ذراع في الثورة، ومنهم: مفدي زكرياء ومحمد الشبوكي وأبو القاسم سعد الله وصالح خرفي وصالح خباشة ومحمد الصالح باوية، فإن دواوينهم التي تضم الشعر الصادر في مرحلة الثورة تفي بمتطلبات هذا المبحث لما فيها من جرأة في التعبير ووضوح في المبدأ، فقد سجل معظم هؤلاء الشعراء وقفات رائعة إلى جانب الثورة التي أرهص لها بعضهم وبشّر بها بعضهم الآخر، وقد أصبحت هذه الثورة هاجسا لهم ولغيرهم من الشعراء العرب، هي التي تعطيهم وضعهم الطبيعي الذي يجب أن يكونوا عليه "وما دامت الكلمة في بعض الأحيان مهما كان تأثيرها لا تعطي النتائج المرجوة"[3]، فقد كان من الطبيعي أن يبحث عن البدائل التي تصورها مفدي زكريا في صوت الرصاص وحدّ السيف إذ يقول في قصيدة (وتعطلت لغة الكلام) من سجن بربروس سنة 1957:

نطق الرصاص فما يباح كلام وجرى القصاص فما يتاح ملام
وقضى الزمان فلا مرد لحكمه وجرى القضاء، وتمّت الأحكام
السيف أصدق لهجة من أحرف كتبت فكان بيانها الإبهام
والنار أصدق حجة فاكتب بها ما شئت، تصعق عندها الأحلام[4].

[1] – محمد الطاهر يحياوي: أحاديث في النقد والأدب، شركة الشهاب، الجزائر،1990، ص20.
[2] – المرجع نفسه، ص21.
[3] – العربي دحو: قراءات في ديوان العرب الجزائري، ص66.
[4] – مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص ص42-43.

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن الثورة محمد الأخضر عبد القادر السائحي* في قصيدة (بيعة) الصادرة بتونس في 1956/04/13م، التي يبين فيها خط الثورة الذي رسمه الشعب الجزائري بإعلانه الحرب بعدما كاد يتعرض للفناء على يد الاستعمار، فقد اتخذ المجاهدون من الجبال قلاعا لرفع ألوية النصر، ولم يعد هناك مجال للنوم أو الخوف من الطغيان، بعدما هزت الحرب أركان العدو:

رجال في الجزائر لن يحيدوا عن المثل الذي رسمه رمزا
فما سكنوا الجبال جناة جرم ولا عرفوا إلى الأموال كنزا
ولكن أمة تفنى، وشعب يبدد شمله مكرا ونبزا
حدا بهم إلى تحرير أرض ورفع لوائها قهرا وبزا
وكيف ينام في أرض شباب أبى عن موجة الطغيان فوزا
وشنّ الحرب للتحرير حربا تهز الغاصبين هناك هزا[1]

وفي إحدى قصائد الديوان السابق الذكر موسومة ب (البعث) نشرت بمجلة الآداب سنة 1956، يشبه الثورة بالبعث، ويدعو الشعب إلى الاستعداد له، فقد عمت الثورة ربوع الوطن، فعرب الأطلس قد ثاروا، وأهل وهران يصنعون المجد، وفي قسنطينة يُحفر قبر العدو، والفجر يؤذن بالبزوغ:

في ليالي البعث..في عيد العناق.
وأعِدّوا إن يوم البعث جاء
إن أهلي عرب الأطلس ثاروا
عبر(وهران) التي تصنع مجدا
و(قسنطين) التي تحفر لحدا

*– محمد الأخضر عبد القادر السائحي (الصغير) من مواليد 1933بتقرت، قضى حياته بقرية بلدة عمر، تتلمذ على يد ابن عمه الشاعر محمد الأخضر السائحي الكبير بباتنة، التحق بجامع الزيتونة بتونس سنة 1949، ونال شهادة التطويع سنة 1956. شارك في الثورة في إطار الإتحاد العام للعمال الجزائريين، و الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وفي نطاق جبهة التحرير الوطني، تنظر حياته في: الكهوف المضيئة، ص173–174. وفي: الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري، ص23. وفي: عبد الملك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص232.

[1] – محمد الأخضر عبد القادر السائحي: الكهوف المضيئة، ص49–50

وتعبّ النصر من نبع الصباح[1]

مضامين شعر الثورة

أ- تخليد الشهداء

برز أثناء اندلاع الثورة التحريرية شخصيات قيادية، كان لها أثر كبير في سير الكفاح، حيث تمكن هؤلاء من الصمود وإعطاء صور رائعة في الصمود والبطولة، على الرغم من القمع المسلط والتعذيب الممارس عليهم.

وقد حرص الشعراء على تخليد أولئك القادة الأبطال، وسجلوا ما كان منهم من تضحيات وصمود أسطوري في ساحات الوغى أمام جلاّديهم، وهم يساقون إلى المقاصل. وفي هذا الشأن يقول الربيع بوشامة:

حيّ البطولة في حضن الدم القاني وابك الدموع...ذوب وجدان

هذا ابنك الحر في ساح الجهاد قضى هذا على الحمى ممدود جثمان[2]

ومن سجن بربروس ينقل مفدي زكرياء في قصيدته (الذبيح الصاعد) قصة أول شهيد يدشن مقصلة العدو، وهو المرحوم (أحمد زبانا) الذي استقبل حكم الإعدام الصادر في حقه بشموخ وثقة بالنصر، فكان طعم الاستشهاد لديه أفضل من لذة الحياة، ورسخت صورته في المخيال الوطني العام رمزا للإيمان بالمبدأ والوفاء بالعهد، يقول الشاعر:

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان، يتلو النشيدا

حالما كالكليم ،كلمه المجد فشدّ الحبال يبغي الصعودا

وتسامى كالروح في ليلة القـ ـدر، سلاما يشعّ في الكون عيدا

و امتطى مذبح البطولة معرا جا، ووافى السماء يرجو المزيدا

زعموا قتله وما صـــــلبوه ليس في الخالدين عيسى الوحيدا[3]

---

[1] – المصدر نفسه، ص28.

[2] – الربيع بوشامة: الديوان، جمع وتقديم جمال قنان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1994، ص 64.

[3] – مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص9.

وعندما سقط الأديب (أحمد رضا حوحو) شهيدا سنة 1956، رثاه صالح خباشة بقصيدة (نم قرير العين) ضمنها جرائم الاستعمار الذي لم يكفه ما أراقه من دماء وما استباحه من صغار ونساء، ولم يرتوِ إلا بعد قتل العلماء والأدباء، معتبرا استشهاده حدثا مؤلما في الساحة الأدبية:

هل كفاهم ما أراقوا من دما واستباحوا من صغار ونسا
أم تراهم ما ارْتَوُوا، تَبًّا لهم فأبوا غير دماء العلما
رُعْتنا مُذْ غِبْتَ يا حوحو فما أعظم الخطب بساح الأدبا[1]

ب- تمجيد الزعماء

حين نتحدث عن المدح في شعر الثورة الجزائري فإننا لا نريد به المدح العادي الذي ظهر في الشعر العربي القديم، وإنما نريد به مدح الزعماء الذين كان لهم دور في التمهيد للثورة، أو دور في القيام بها، وهذا مدح "يطغى عليه طابع ثوري صميم، لأن الشاعر فيه لا يولي اهتماما إلا للقضية الوطنية، فهي مقياسه الوحيد، ولأن الشاعر في جزء كبير من هذا الشعر لا يعبر عن عاطفته الخاصة، و لا يتحدث باسمه، وإنما باسم الجزائر وثورتها. يقول مفدي زكرياء في هذا الشأن:

وقالوا مدحت المالكين أجبتهم هل المدح في غير المناجيد من شأني
إذا ما استقام المالكون مدحتهم وصغت مديحي من قواعد إيماني
ولولا كفاح ما مدحت (محمدا)* ولا جئت بالآيات في الحسن الثاني
ومن لم يُوَفِّ الْحُرَّ شُكْرًا مُكابِر ومن يجحد الإنسان، ليس بإنسان[2]

وما دامت الثورة لم تنطلق من فراغ، فقد رأى الشعراء أن يخلدوا الزعماء الذين مهّدوا لها، وهيئوا لها الفتيل، ويعد ابن باديس رائدا في هذا المجال، حيث أسس جمعية العلماء وقدّم للجزائر خدمة جليلة في التوعية والتربية والتهيئة لجو الثورة، فكان جديرا بأن يُخلّده أبو القاسم سعد الله بذكر بطولاته وأمجاده، حيث يقول في قصيدة قدوة الأحرار سنة 1955:

أنت الذي بعثتنا من العدم

---

[1] – صالح خباشة: الروابي الحمر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص117.

* – المراد بمحمد هنا هو محمد الخامس ملك المغرب الراحل.

[2] – مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص 322.

ورُضتنا على الكفاح والشمم

وقدتنا نحو الضياء

مستهدفا بنا القمم

لنجني الحياة

ونزدهي على الأمم

بمجدنا التليد وبعثنا الجديد[1]

ج- نضال المرأة

برز اسم المرأة الجزائرية في الثورة وأهاب الشعراء بشجاعتها وجهادها وتضحياتها وعبروا عن إعجابهم بذلك، ودعوها إلى مساندة الرجل في أعبائه وخوض غمار الحياة، وكسر العادات والتقاليد التي جعلتها حبيسة في البيت فترة طويلة من الزمن، فاستجابت للنداء وتخطت أسوار التقاليد البالية، وقفزت قفزتها الثورية إلى قمم الأطلس وساحات المعارك، وتجلت بطولة المرأة في مجالات متعددة، فهي ثائرة أثناء الثورة ، فهذا محمد العيد يقدم قصيدته (ثورة بنت الجزائر) يتحدث على لسان المرأة الجزائرية، يصف مشاعرها ومواقفها ومشاركتها في الثورة والكفاح المسلح، و يصور شجاعتها الفائقة

قد سبقن الرجال في البأس صبرا و تحملن فتنة الأضداد

وأثرن الأبطال للثأر منهم فاستباحوا زروعهم بالحصاد د[2]

و لمفدي زكرياء في قصيدته (الذبيح الصاعد) شهادة قوية على أن المرأة الجزائرية، لم تتردد في الانضمام إلى الثورة في عامها الأول، وتشاطر أخاها الرجل في أعباء حرب التحرير، جنديا أو في تكفلها برعاية المجاهدين وإيوائهم ومعالجتهم:

وصبايا مخدّرات تبـــــاري كاللبـــــوءات، تســتفز الجنـودا

شاركت في الجهاد آدم وحوا هـ، ومدّت معاصـــتتما و زنـزدا

أعملت في الجراح، أنملها اللـ دن، وفي الحرب غصنها الأملودا

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، ط3، 2010، ص157.

[2]- محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص430.

فمضى الشعب بالجماجم يبني أمـــــــــة حرة، ومجـدا وطيدا[1]

ولصالح خرفي في هذا المجال قصيدة يتغنى فيها بتضحيات المرأة الجزائرية وبطولاتها في ميدان الكفاح بعنوان (استريحي يا جميلة) نضمها سنة 1958، بمناسبة إصدار حكم الإعدام في حق المجاهدة (جميلة بوحيرد) التي صارت رمزا للنضال، وأسالت حبرا كثيرا في شعر الثورة، وعُدّت مكونا إبداعيا، ورمزا أسطوريا:

لن تموتي يا جميلة

قالها الناس ولكن لم أقلها يا جميلة

أنا أهوى أن تموتي يا جميلة

أملي أن تستريحي يا جميلة

فالردى في وهج القسوة أنسام عليلة

إن في موتك للشعب انتصارات جليلة

إن في شنقك ويلات على أيد دخيلة

صرخة منك وآهات وأنات عليلة

فجّرت بالعطف دنيا هي بالعطف بخيلة

قرّبت للشعب مرماه وللباغي أفوله[2]

د- جبهة التحرير الوطني:

تردد اسم جبهة التحرير الوطني في شعر الثورة باعتبارها رمزا لوحدة الحركة الوطنية، ولأنها محور النشاط والتعبئة الثورية والقيادة المركزية لكل عمل نضالي.

وللشاعر محمد الشبوكي قصيدة قيلت في أواخر 1955، موسومة ب (خبّروا الدنيا) يتحدث فيها عن انطلاق الثورة، وكيف هبّ الشعب الجزائري صفا واحدا وخاض ساحات الوغى في صمود وهو عاقد العزم على التحرير، استجابة لنداء جبهة التحرير الوطني:

لعلع البارود في كل الجبال وانبرى كل كمي للقـــــتال

وحماة الوطن الشجعان هبوا في صمود نحو ساحات القتال

---

[1]- مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص15.

[2]- صالخ خرفي: أطلس المعجزات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص89.

(جبهة التحرير) نادت شعبنا أين من يفدي بنفس أو بمال

أين من يفدي الجزائر التي أبت الضيم و هبّت للنضال

إن نصر الله وافى أسرعوا لاغتنام النصر بالسمر العوالي[1]

أما مفدي زكريا فإنه يمنح جبهة التحرير الوطني ثقته الكاملة، فهي حسب رأيه رجاء الشعب، وعلى يديها يقرر مصيره، وعليها أن تسلك سبيل الخلود، وتكتب التاريخ بدماء الشهداء، وتخلد ثورتها في الكون:

يا (جبهة التحرير) أنت رجاؤنا وعلى يديك إلى المصير زمام

شَقِّي طريق الخالدين، وسَطِّري بدم الشهادة فالدماء قوام[2]

هـ- الشعر وفرحة الاستقلال:

وإذا حاولنا رصد أصداء هذه الفرحة في الشعر فإن معظم الشعراء الذين ذاقوا طعم الحرية كان لهم تجاوب مع فرحة النصر المبين "فهذا محمد العيد يعبر إثر توقيع وثيقة إيقاف القتال- في التاسع عشر من شهر مارس 1962 تمهيدا للاستقلال - عن فرحته وابتهاجه بهذه الذكرى الخالدة التي تمخض عنها ميلاد حكومة جزائري:

وطنـــــي المفدى بالكفاح تحررا ومصيره بعد النجاح تقررا

فابن الجزائر صار سيِّد أرضها والغاصب المحتل ولى مدبرا[3]

وفي المناسبة نفسها (إيقاف القتال) ألقى أحمد سحنون قصيدة مشيدا بالنصر الذي تحقق بالكفاح المجيد من أجل الحرية والكرامة:

اليوم ينعم بال كل شهيد في خُلْدِه ويقيم أعظم عيد

و يقول كل فدائي في حفله اليوم قد حطّمت كل قيودي

اليوم يفتخر (الأمير) بنسله و يقول أبنائي وفّوا بعهودي[4]

---

[1]- محمد الشبوكي: الديوان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1995، ص17.

[2] - مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص48.

[3]- محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 443.

[4]- أحمد سحنون: الديوان ج1، ص 78.

ولم يفوّت صالح خباشة هذه المناسبة في قصيدته (الفرحة الكبرى)[1] على إثر إعلان النبأ العظيم الذي هزّ العالم كله، وهو وقف إطلاق النار، والاعتراف بحق شعبنا الباسل، فيقول معبرا عن نشوة الفرح التي غمرت ربوع البلاد، حين خفق النصر على ربوعها:

خفق النصر في ربوع بلادي أي أرض تقلّني، أي نـاد
نشوة تغمر القلوب، وتروي كل شعب إلى التحرر صادي
فرحة العمر تستقر بقلبي فكأني مجـدّد الميلاد
سوف نجني ثمارنا يانعات ما لها من تصـوُّح أو نفاذ[2]

[1] – صالح خباشة: الروابي الحمر، ص169.

[2]– المصدر نفسه، ص169.

المحاضرة السابعة: الشعر التجديدي

تمهيد

لقد عرف الشعر العالمي الذي كان مبنيا في معظم اللغات على رتابة الوزن ولزوم القافية تغييرات هدفت أساسا إلى[1]:

1- إزالة هذه الرتابة في الوزن.

2- التخلي عن القافية بحجج مختلفة، منها أنها عائق أمام الإبداع.

والشعر العربي لم يحد عن هذا الاتجاه، فظهر هذا الضرب من الشعر الذي يعتمد فيه الشاعر على وحدة التفعيلة أساسا للنظم، بدلا من وحدة البيت. وهو يتكون من أشطر لا يشترط فيها أن تكون متساوية، فقد يتكون الشطر من تفعيلة واحدة أو من عدد من التفعيلات، يوزعها الشاعر حسب خفقات عاطفية وشعورية، غير ملتزم بروي واحد ولا قافية واحدة.

أما عن بداياته فقد اختلف فيها الدارسون. فمنهم من قال إن الموشحات الأندلسية هي أصل ذلك الشعر، لأنها ذات أوزان وبحور متعددة (علما أنها لا تشبه الشعر الحر أو الحديث إلا في حرية تنويع العروض، واستحداث إيقاعات تناسب أنغام الغناء). ومنهم من أرجع بداياته إلى شعراء المهجر الشمالي، ورأى غيرهم أن بدايات هذا الشعر هي أواخر الأربعينيات على أيدي شعراء العراق. ومن بين هؤلاء الشاعرة العراقية نازك الملائكة التي قالت إن أول قصيدة نظمت على طريق الشعر الحر هي قصيدتها (الكوليرا) التي نظمتها في 1947/10/27. إبان انتشار وباء الكوليرا في مصر.ثم تلاها عبد الوهاب البياتي، بديوانه أزهار ذابلة في نفس السنة، الذي احتوى على قصيدة من طراز جديد بعنوان: هل كان حبا. وبعد نازك الملائكة والبياتي كتب نزار قباني وأحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور قصائد تنتمي إلى هذا الشكل الجديد من الشعر.

[1]- مصطفى حركات: قواعد الشعر (العروض والقافية)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1989، ص 160.

ورفض بعض النقاد المحافظين هذا الإنتاج الأدبي في البداية ولكن القراء استساغوه، وبدأ الشعراء يميلون إليه، ويهجرون الشعر العمودي[1]. وبعد الشعراء والقراء بدأ المنظرون يهتمون بهذا الشعر ويحاولون دراسته.

أما في الجزائر فيذهب أغلب الدارسين حين يؤرخون لبداية ظهور الشعر الحر إلى أن البداية الحقيقة الجادة لظهور هذا الاتجاه إنما ظهرت مع ظهور أول نص من الشعر الحر في الصحافة الوطنية، وهو قصيدة (طريقي)، لأبي القاسم سعد الله المنشورة في جريد البصائر بتاريخ: 23مارس1955. لكن ألم يسبق ذلك محاولات في هذا المجال؟

وقبل التسليم بالرأي الأول يجب ألا نغفل المحاولات التي سبقت تجربة سعد الله، مثل التجربة التي كتبها رمضان حمود (1906-1929) في سنة1927، في فصل :(حقيقة الشعر وفوائده) نشره في مجلة الشهاب سنة1927. يقول في هذا الفصل: "قد يظن البعض أن الشعر هو ذلك الكلام الموزون المقفى، ولو كان خاليا من معنى بليغ وروح جذاب، وأن الكلام المنثور ليس بشعر، ولو كان أعذب من الماء الزلال وأطيب من زهور التلال، فهذا ظن فاسد واعتقاد فارغ وحكم بارد"[2]

وله فيما بعد نص يقول فيه: "فالشعر تيار كهربائي مركزه الروح، وخيال لطيف تقذفه النفس لا دخل للوزن ولا للقافية في ماهيته ، وغاية أمرهما أنهما تحسينات لفظية اقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى، كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة،وإنما حفظا وصيانة من التلاشي والسيلان"، ثم يأتي بنص شعري يقول فيه:

أتوا بكلام لا يحرّك ساكـنا عجوز له شطر وشطر هو الصدر
وقد حشروا أجزاءه تحت خيمة كعظم رميم ناخر ضمه القـــــبر
وزُيِّنَ بالوزن الذي صار مقتفى بقافية للشطّ يقذفها البـــــــحر
و قالوا وضعنا الشعر للناس هاديا وما هو شعر ساحر لا و لا نثر
و لكنه نظـــــم وقول مبــعثر وكذب ،وتمويه يموت به الفكر.[3]

[1] – ينظر: مصطفى حركات: قواعد الشعر (العروض والقافية)، ص161.

[2] – محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ص 59.

[3] – المرجع نفسه، ص 60/59.

لهذا فإن دعوة حمود إلى التجديد في الشعر تعتبر رائدة في هذا المجال، كما يؤكد محمد ناصر ذلك: "لَعَلِّي لا أكون مخطئا إن إنا زعمت بأن رمضان حمود هو الذي فتح باب التجديد في الشعر الجزائري"[1]. لقد رفض حمود المفهوم القديم للشعر الذي يجعله أسير الوزن والقافية حيث قال: "إن الشعر تيار كهربائي مركزه الروح، وخيال لطيف تقذفه النفس، لا دخل للوزن ولا للقافية في ماهيته، و غاية أمرهما أنهما تحسينات لفظية"[2].

وبهذا الموقف يكون له فضل السبق قبل شعراء المشرق نازك اللائكة وبدر شاكر السياب وغيرهما، بعقدين من الزمن.

غير أن دعوة الشاعر هذه انتهت بموته سنه 1929، دون أن تترك أي أثر في واقع كان يتنفس في جو كلاسيكي صارم، لكنها تعتبر ظاهرة متفردة في تاريخ الشعر الجزائري الحديث.

أما البداية الحقيقة لهذا الشعر في الجزائر، فكانت في منتصف العقد السادس من القرن العشرين، مع أبي القاسم سعد الله أول من نشر قصيدة حرة من أسر الوزن التقليدي والقافية الرتيبة المطّردة في جريدة البصائر عدد 311 بتاريخ 1955، عنوانها (طريقي)[3]، وكان هذا بسب اتصاله بالمشرق وتأثره بالمدارس الأدبية كما يقول: "...غير أن اتصالي بالإنتاج العربي القادم من المشرق –ولاسيما لبنان– واطلاعي على المذاهب الأدبية والمدارس الفكرية والنظريات النقدية، حملني على تغيير اتجاهي، ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر"[4].

ويؤكد هذه المقولة محمد الطمار حينما يؤرخ لتجربة الشعر الحر في الجزائر: "فالتجربة دخلت إلى بلادنا إذن بفضل عودة روادها الذين قضوا ردحا من الزمن في المشرق لينهلوا ما استطاعوا من حياض الثقافة العربية الإسلامية، وأخذت هذه التجربة تشق طريقها بتؤدة لضعف المستوى الثقافي حينئذ والاتصال غير المباشر بالينابيع التي روى منها روادنا الأولون"[5].

---

[1] – المرجع السابق، ص39.

[2] – المرجع نفسه، ص 69.

[3] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص51

[4] – المرجع نفسه، ص51.

[5] – محمد الطمار: مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، ابن عكنون، الجزائر، 2005، ص22.

ومهما تعددت الأقوال حول أسبق نص من هذا الضرب من الشعر ظهر في الجزائر، "فإن الذي لا تتعدد حوله الأقوال أن الشاعر الجزائري الوحيد الذي اتجه إلى هذا الشعر عن وعي واقتدار وحاول التجديد في الإشكالية الموسيقية للقصيدة وفي بنيتها التعبيرية، هو أبو القاسم سعد الله، في حين ظلت محاولات الشعراء الآخرين من أمثال: محمد الأخضر عبد القادر السائحي، والطاهر بوشوشي، والغوالمي، وأبو القاسم خمار، متسمة بالتذبذب والتردد، فإن تلك التجارب كانت إلى الشعر العمودي أقرب منها إلى الشعر الحر"[1] .

ومن أمثلة هذا الشعر المقطع التالي لأبي القاسم سعد الله، وقد تحرر فيه من أسلوب الشطرين المتساويين والتزم فيه التفعيلة الواحدة، لكنه لم يستطع أن يتحرر من الصبغة التقريرية التي منيت بها القصيدة التقليدية في عهد انحطاطها:

كان حلما واختمارا

كان لحنا في السنين

أن ترى الأرض تثور

أرضنا بالذات،أرض الوادعين

أرضنا بالذات،أرض الكرماء

أرضنا السكرى بأفيون الولاء[2].

فإذا أسقطنا الوزن من هذا المقطع، بقيت الفقرات نثرية ،لا علاقة لها بالشعر.

ويلي سعد الله الشاعر محمد الصالح (باوية) الذي استطاع أن يغذي تجربة الشعر الحر بروح جديدة شكلا ومضمونا، وجاءت تجربته معاصرة للثورة فاكتملت لها روعة التجديد، وجلال المضمون البطولي، ولنتأمل هذه الأبيات من قصيدته (الإنسان الكبير):

يا رفيقي أنا إنسان طريقي.

أغرز المحراث،يحكي ثورتي للذرة الدنيا،لأعماق خفية

أحبس السحب،هنا بحر وأمطار سخية

أوقف اللحظة،إنا لحظة كبرى غنية

[1] – محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه، ص 151

[2] – أبو القاسم سعد الله: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1986، ص 9.

لم تزل تنشر في الكون حكايا وهدايا عربية

أطفئ النيران،إنا قلب بركان عتي للأساطيل العتية

للطواغيت ،لأصنام غبية

أسكت الطير،فإنا خلجة الإنسان تشدو في عروق عربية

تعبر الأحلام للشمس السخية.

ويتميز الشعر الحر بخصائص متنوعة، على تفاوت بين الشعراء في توفر هذه الخصائص في أشعارهم على حسب الظروف التي مرّ بها كل شاعر، والثقافة التي تلقاها، وموهبته الفطرية. نذكر منها: العناية بالموضوع، سهولة اللغة ووضوحها، الصورة الشعرية الرامزة، والتشكيل الموسيقي.

1 – العناية بالموضوع

لقد كان اهتمام شعراء المدرسة الحرة في الجزائر بمعالجة القضايا الوطنية: الاجتماعية والسياسية، والثقافية والدينية نابعا من قناعاتهم بانتمائهم العربي الإسلامي، وإخلاصهم للوطن أرضا وشعبا، وللقيم الإنسانية، ونتيجة لذلك انصب اهتمامهم على تلك القضايا التي كانت مطلبا وطنيا وحاجة ملحة فلا يعقل أن يحلق الشعراء في سماء الفن ناسين معانات شعبهم، ونداء وطنهم، وفي هذا الصدد يقول العربي دحو: "لهذا يظهر في اعتقادنا جانب المضمون أساسيا في قصيدة الشاعر الجزائري لمرحلة ما قبل الثورة ومرحلة الثورة كذلك"[1].

وهذه العناية بالموضوع جعلت الشعراء لا يلتفتون إلى مسألة التجديد في الشعر "إذ يبدو أن الشعراء قد شغلتهم الجزائر فهللوا لأسباب استقلالها...وهم الآملون في الحياة التي لا تكون إلا بالبطولة أو بالشعب الجزائري الذي غدا الموضوع الأكبر في الشعر الجزائري الحديث، يضاف إلى هذا الاشتغال الفني عند هؤلاء الشعراء في ظل الموروث الذي يعيق انطلاقهم، ويحجب عنهم صيغا فنية"[2].

---

[1]– العربي دحو: قراءات في ديوان العرب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص72.

[2]– عمر أحمد بوقرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر (الشعر وسياق المتغير الحضاري)، شركة دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص29.

وعليه فإن الشعراء الذين كان لهم خروج عن مألوف القصيدة القديمة، لم تكن ثورتهم عليها شاملة كما فعل أمثالهم في المشرق، وإنما كانت المسألة عندهم نسبية مست الشكل فقط، أما من حيث المضامين فقد كانت الثورة وإفرازاتها هي مدار شعرهم، وأبرز ميزة تميز بها الشعر في هذه المرحلة هي "مواكبته واقع الحرب والثورة مواكبة جمعت بين الالتزام العاطفي والالتزام النضالي. فلقد أعرض معظم الشعراء الذين عايشوا الثورة من الأغراض التي لا تتصل بها، كالغزل والتأمل الفلسفي والوصف الرومانسي"،[1] ويُؤكِد هذا الرأي أبو القاسم سعد الله في مقدمة ديوانه (ثائر وحب) بقوله: " ففي الوقت الذي برهن السلاح على صلاحيته في معركة التحرير كان صاحب هذا الشعر يعتقد أن الكلمة المكتوبة لا تقل عن السلاح، إن لم تَفُقْهُ مَضاء، ولذلك اندمج في الثورة اندماجا بلغ به درجة التأزم العاطفي الحاد. "[2].

والذي يطالع ديوان سعد الله (ثائر وحب) بقصائده الخمس و العشرين يجدها تكاد " تدور حول القضايا الوطنية، وأحداث الثورة، ومن هنا كان الشاعر ملتزما كليا بالقضايا الوطنية، إذ أننا نجده حتى في قصائده الذاتية يعبر عن إحدى هذه القضايا كمن عاناها وقاسى آلامها وأحداثها، وذلك بالفعل ما حدث له، ولذلك كانت صرخته في كلها قوية جدا تهتز لها النفس وتنفعل معها"[3].

أما الشاعر صالح خباشة فإن التزامه بوظيفة الشعر يتجلى في هذين البيتين حيث يقرّ فيهما تخصيص شعره لقضايا وطنه المستعمر، يقول في أول قصيدة من ديوان (الروابي الحمر) مبينا مهمة الشاعر ووظيفة الشعر:

لست الأديب – وإن نظمت قلائدا– إن لم أكن للشعب خير لسان

خلاصة القول إن الشعب الجزائري عاش أحداثا عظيمة أثناء الثورة، وإن الشعراء كانوا جزء من هذا الشعب، وأكثر الناس إحساسا بالألم وتأثرا بالأحداث، وأسرع من يستجيب لها، لأن أعصابهم كانت فوق جلودهم، والشعر مرتبط بما يثيره، ومن أكثر العناصر إثارة له الثورة، لذا فقد

[1] – محمد بن زاوي: ثورة التحرير في الشعر الجزائري الحديث، رسالة ماجستير في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الأسكندرية، مصر، 1988، ص74.

[2] – أبو القاسم سعد الله: مقدمة ثائر وحب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص6.

[3]– العربي دحو: قراءات في ديوان العرب الجزائري، ص116.

كان هذا الشعر مرآة صافية عكست أحداثها، وكان لسان الثوار في السهول والجبال، كما كان صوت الشعب الجزائري في التعبير عن آلامه وآماله.

2 – سهولة اللغة ووضوحها

من مميزات الشعر الحر في الجزائر وضوح اللغة مفردات وجملا، فقد ابتعد الشعراء عن الغموض والإبهام، تاركين أنفسهم على سجاياها، تصول وتجول في أحداث الثورة التحريرية، وغالبا ما سيطرت عليهم النبرة الخطابية التي تفرضها عليهم حالاتهم النفسية غضبا على الاستعمار، يجلى ذلك في هذه الأبيات لأبي القاسم خمار من قصيدة (منطق الرشاش) الصادرة سنة 1958 عندما اشتدت الحرب، فراح يشاطر مواطنيه في الكفاح من بعيد، ينفخ النيران بقصائده، يشجع على الانتقام من الطغاة، وعلى البطش بهم وتحطيم معاقلهم، ونشر الرعب بينهم، ويبشر بالنصر، يقول:

لا تفكّر...لا تفكّر...

يا لهيب الحرب دمّر... ثم زمجر...

في الذُّرى الحمراء من أرض الجزائر... لا تفكر...

مزِّق الأحياء ...أشلاء... وبعثِر...

حطّم الطغيان...كسِّر...

و انشر الإرهاب...والنيران ...أكثر.

أنت لم تكبر لتصغر... أنت بركان تفجّر

أنت لم تخلق لتقهر

أنت قهار...وأخطر...لا تفكر[1]

من يتأمل لغة أبي القاسم خمار، يجدها سهلة لا تحتاج في فهمها إلى كبير عناء، ولا تقتضي العودة إلى المعاجم اللغوية، فليس في كلماته غرابة أو تكلف، ويرجع ذلك إلى اهتمام الشاعر بالموضوع أكثر من اهتمامه بالأسلوب، فالشاعر ملتزم بالثورة ويرسل رسالة إلى الشعب، وهدفه هو إيصال أفكاره إليه بطريقة مباشرة واضحة كي يتسنى للجميع فهمها، لكن البساطة

[1] – أبو القسم خمار: ظلال وأصداء، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص63.

والوضوح في شعره لم تَحُلْ بينه وبين أن تكون ألفاظه متآلفة متجانسة لا يوجد بينها تنافر أو اضطراب.

ولا نعدم صفة الوضوح والسهولة هذه عند شاعر آخر من مدرسة الشعر الحر، هو أبو القاسم سعد الله، فلغته تنصب انصبابا بلا تكلف، يقول واصفا واقع الفلاح الجزائري تحت وطأة ظلم المستعمر الغاشم الذي سلبه أرضه وشتت جمعه، وقهره وأفقره، يتحدث سعد الله على لسان الفلاح:

حتى م أفترش الحصير

وأساكن الكوخ الحقير

و أساهر الحرمان والألم المرير

وتلوك جنبي الخشونة

ويحيطني قبو العفونة

في ظلمة عمياء تطفح بالخشاش[1]

كما تميز شعر محمد الصالح باوية بهذه الميزة، التي طبعت الشعر الجزائري الحر، وهي ميزة الواقعية وبساطة المعجم الشعري، وتوظيف المفردات والتراكيب من الحياة اليومية الجزائرية، للوصول إلى قلوب الجماهير والتأثير فيهم دون أن تنزل هذه اللغة إلى السوقية، وقد علق على هذه الظاهرة في شعره محمود الربيعي حيث يقول: "فنحن لا نحس مطلقا أننا أمام إنسان يجهد نفسه لكي يتخير مفردات وتعابير يدهشنا بها، ويحاول أن يقنعنا أن عالمه اللغوي عالم خاص. وإنما نحن أمام إنسان منا، يتحدّث إلينا بلغة مألوفة لدينا..لغة تتذبذب على حافة اللغة التي نستعملها أو ليس غريبا أن نستعملها في حياتنا اليومية"[2].

ولنأخذ مثالا هذا المقطع من قصيدة إنسانية الطريق:

دمدم الرعد وهزتنا الرياح

حطّمي الأغلال وامضي للسلاح

حطّميها لم تعودي عبد خلخال وسوط ودموع وعويل

[1] – أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر، ص141.

[2] – محمود الربيعي: مقدمة ديوان (محمد الصالح باوية) أغنيات نضالية، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص18.

أنت للمدفع للراية للثأر..هنا بين الروابي والحقول

جمّعي أحقادك الغضبى فتأتي لعنة حمراء في عنق الكفاح[1]

3 – الصورة الشعرية الرامزة

على الرغم من أن تجربة الشعر الحر في الجزائر سارت بخطى مقيدة في مراحلها الأولى، فإن هذا الشعر قد عرف تطورا ملحوظا في مضمونه وشكله "فصار الشعراء يُغنّون للحرية والسلام والعدالة والمحبة والكرامة لا لشعبهم فحسب، وإنما لكل شعوب العالم ولاسيما المقهورة منها. فاحتكّ شبابنا بهم فإذا بأدبنا يخرج بدوره من جموده، فاستطاع أن يتحرر من قوالبه القديمة ويخطو خطوات شاسعة في ميدان التجديد، ولكن مع حرص شديد على الوضوح في الصور الشعرية واجتناب الإيغال في الرمزية"[2].

ولنعط مثالا على ذلك هذه الأبيات من قصيدة محمد الصالح باوية (الإنسان الكبير) التي تتلمس للثورة أصداء في الذرة التائهة في الأعماق، في خلجات النفوس، في اللحظة في كل شيء[3]:

قال شعبي يوم وحّدنا المصير

يا رفيقي

أنا إنسان طريقي

أغرز المحراث، يحكي ثورتي للذرة الدنيا

لأعماق خفية

أحبس السحب..

هنا بحر وأمطار سخية

وربيع صاغه طفل لشعبي..وصبية

أوقف اللحظة، أنا لحظة كبرى غنية

---

[1] – محمد الصالح باوية: أغنيات نضالية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص33.

[2] – محمد الطمار: مع شعراء المدرسة الحرة في الجزائر، ص22.

[3] – صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص354.

لم تزل تعمق أعماقا وأجيالا فتية[1]

ففي بناء هذه الصورة "اتجاها إلى الرمز أو إلى ما يشبهه من اللمحات الخاطفة، والصور الوامضة"[2].

ويأتي الرمز متضمنا عناصر الطبيعة مركبة في هذه القطعة لباوية، أين يصور واقع الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار:

غير مرة

خُنِقَتْ ألف حياة ومسرة

بيد الغِربان..غِربان المعَرَّة

غير مرة

أوشك التفجير أن يبلغ سره

وإلى أَنْ رَيَّشَ العصفور

طارت حوله العقبان حرة[3]

وشبيه بهذه الصورة ما نلاحظه عند أبي القاسم سعد الله في قصيدته (الدم والشعلة) التي يصف فيها القرية الجزائرية تحت نير الاستعمار، حيث يمزج بين الإنسان والطبيعة في صورة مؤثرة، يجعل فيها القرية تموج بالأشباح رمزا للمستعمرين الذين عاثوا فيها قتلا وتدميرا، وسكروا فرحا في مفارقة وحشية:

وعيون الليل تمزقها

والخنجر يغرقها

غدرانا عبر الخضرة

سبحوا فيها والكأس

نشوى تغترف الخمرة

والليل الساجي والناس

[1] – محمد الصالح باوية: أغنيات نضالية، ص57–58

[2] – صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص355.

[3] – محمد الصالح باوية: أغنيات نضالية،ص75.

أشباح في رؤيا القرية

لاجدوى مات الإحساس

في دنيا القرية[1]

وتعتبر قصيدة (اللعنة الحمراء) لأبي القاسم خمار نموذجا لتوظيف الرموز التاريخية والأسطورية، ففيها يتحدث عن جرائم أمريكا في فيتنام، ويجعل من الشعب الفيتنامي (سيزيفا) لكنه رافض لقدره خلافا لما تنص عليه الأسطورة اليونانية القديمة، ويجعل منه هنديا أحمر لكن لا يقبل الإبادة كما حدث للهنود الحمر في أمريكا:

اللعنة حلّت يا سام

لن يرفع (سيزيف) الصخرة

لن تلمع في سهم ريشه

أشباح الهندي الأحمر

ذكرى مرة تتفجر

مأساة الأحمر تتكرر

والناس نيام

والحقد ضرام

في شمال فيتنام[2]

لقد أصبحت الصورة الشعرية عند هؤلاء الشعراء وسيلة أساسية في العمل الشعري يعبر من خلالها الشعراء عن عواطفهم وأفكارهم ومواقفهم، وأصبح الشعراء يستعينون بالرموز الدينية والتراثية والشعبية.

4 – التشكيل الموسيقي

لقد سلك جيل الثورة في بناء قصائدهم شكلين متباينين: شكل القصيدة العمودية الكلاسيكية القديمة، وشكل الشعر الحر المستحدث، الذي قوامه تعدد الأوزان والقوافي، وبالنسبة لشعراء الشعر الحر "لم تكن تجاربهم الأولى من النضج، بحيث يستطيع الباحث أن يقول إنها

[1] – أبو القاسم سعد الله: ثائر وحب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص55–56.

[2] – محمد أبو القاسم خمار: أوراق، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1967، ص34.

ذات طابع موسيقي متفرّد، فلم يتخلصوا من تأثير القصيدة العمودية، ولم يتعد ما عملوه سوى الانتقال من نظام البيت إلى نظام التفعيلة"[1].

ومن مظاهر ارتباط القصيدة الحرة بموسيقى القصيدة العمودية أثناء الثورة، التزام الشعراء غالبا بالقافية لغلبة الطبع على التطبع، وللتدليل على ذلك نسوق هذه النماذج الحرة وكيف كان الشعراء فيها يتمسكون بالقافية ويحاولون الحفاظ على حرف الروي، يقول أبو القاسم سعد الله:

يا رفيقي /0//0/0 فاعلاتن

لا تلمني عن مروقي /0//0/0 فاعلاتن /0//0/0 فاعلاتن

فقد اخترت طريقي ///0/0 فَعِلاتن ///0/0 فَعلاتن

وطريقي كالحياة ///0/0 فَعِلاتن /0//0/0 فاعلاتن

شائك الأهداف مجهول السمات[2] /0//0/0 فاعلاتن /0//0/ 0 فاعلاتن /0//0/0 فاعلاتن

لقد حاول الشاعر في هذه المقطوعة أن يتحرر من الشكل القديم ولكنه بقي أسير تفعيلات بحر الرمل، فتقيد بالتفعيلة ولم يتقيد بعددها، ولم يتحرر من القافية نهائيا وإنما نوّعها في القصيدة، لأن "الشاعر الجديد لم يلغ الوزن نهائيا من القصيدة الشعرية ولكنه أدخل عليه تعديلات وتغييرات حتى يحقق لنفسه توافقا أكبر مع مشاعره"[3].

ويقول في قصيدة (كفاح إلى النهاية) الصادرة سنة 1957، يقول:

هذه أرضي نداء /0//0/ 0 فاعلاتن /0//0/0 فاعلاتن

صارخا في تقدم /0//0/0 فاعلاتن ///0/0 فعلاتن

إحم أعراض النساء /0//0/0 فاعلاتن /0//0/0 فاعلاتن

لن أكون الأم لو تلقي السلاح /0//0/0 فاعلاتن/0//0/0 فاعلاتن/0//0/0فاعلاتن

باسم أمي والفداء[4] /0//0/0 فاعلاتن /0//0/0 فاعلاتن

---

[1] – عبود شراد شلتاغ، حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص143.

[2] – أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، ط3، 2010،ص 137.

[3] – السعيد الورقي: لغة الشعر الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ص192.

[4] – أبو القاسم سعد الله: ثائر وحب، ص78.

وما قيل عن المقطوعة الأولى ينطبق على هذه القطعة في محاولة الشاعر التحرر من الوزن التقليدي، مع المحافظة على وحدة التفعيلة (فاعلاتن) تتكرر مرة أو مرتين أو ثلاث مرات في السطر، إضافة إلى التزام القافية مع تنويعها في القصيدة الواحدة.

أما محمد أبو القاسم خمار الذي سلك في ديوانه (ظلال وأصداء) طريق القدماء في نسج قصائده، وبعد أن هاجر إلى المشرق واحتك بالمذاهب الأدبية والمدارس النقدية، واطلع على أشعار رواد الشعر الحر أمثال بدر شاكر السياب ونازك الملائكة، فقد بدأت تبرز في شعره مظاهر التجديد، يقول في قصيدة (مصرع الصنم) سنة 1960:

على أرض أفريقيا //0/0 فعولن//0/0 فعولن /0 فع

وفي جوها الملتهب //0/ 0 فعولن //0/ 0 فعولن / /0 فعو

مآتم رب //0/ فعول //0/0 فعولن

و أفراح شعب //0/0 فعولن //0/0 فعولن

ويضيف أبو القاسم في نفس القصيدة:

وبرعمت البذرة الأجنبية //0/ فعول//0/0 فعولن//0/0 فعولن //0/0 فعولن

ولفّت على كل جدع فروع //0/0 فعولن //0/0 فعولن //0/0 فعولن //00 فعولْ

وثارت على الدغل روح شقية //0/0 فعولن //0/0 فعولن//0/0 فعولن//0/0 فعولن

فلم تبق غير الأسى والدموع //0/0 فعولن //0/0فعولن //0/0 فعولن //00 فعولْ

فهذه القطعة كما يلاحظ تشبه القصيدة التقليدية فهي متساوية الشطرين موحدة البحر موحدة القافية، فلو كتبت بطريقة الشطرين لكانت من بحر المتقارب المعروف:

فعولن فعولن فعولن فعولْ، حيث ترد العروض الرابعة مشطورة مقصورة (ساكنة اللام، محذوفة النون (فَعُوْلْ).

ويعرف هذا النوع من الشعر الحر بشعر التفعيلة الذي "قام على بعض الأسس منها وحدة التفعيلة في القصيدة ثم عدد التفعيلات في كل سطر ثم حرية الروي والنظر إلى القافية دون الالتزام بها"[1]. وتخضع موسيقى هذا الشعر للحالة النفسية للشاعر "ويلاحظ أن أصحاب شعر

[1] – سلامة أبو السعود سلامة: الإيقاع في الشعر العربي، دار الوفاء لدنيا لطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص95.

التفعيلة يستخدمون تفعيلة واحدة يلتزمونها ويكون هذا في البحور الصافية الستة وهي: الرمل والكامل والهزج والرجز والمتدارك والمتقارب"[1].

وهذا ينطبق على المقاطع السابقة التي لم تخرج عن تفعيلات بحر الرمل وبحر المتقارب، فشعراء المدرسة الحرة "لم يكادوا يخرجوا عن مجزوء الرجز، والرمل، والمتقارب وهي البحور التي نظموا فيها جميعا لأن نظم الشعر الحر بالبحور الصافية أيسر على الشاعر من نظمه بالبحور الممزوجة، لأن وحدة التفعيلة هناك تضمن حرية أكبر"[2].

ومن الظواهر اللافتة للنظر في الشعر والتي لها أثر في التشكيل الموسيقي، ظاهرة التكرار لبعض الحروف أو الألفاظ، ويجتمع تكرارهما في هذه القطعة لسعد الله من قصيدة (البعث):

أبدا نشكو، لمن نشكو؟ لآلهة الرياح

أبدا نرجو، ومن نرجو؟ سماسرة الحياء

أبدا نرجو، ونشكو كالصغار الضائعين[3]

حيث كرر (أبدا) في بداية ثلاثة أسطر، وكرر الفعلين (نشكو، نرجو) ثلاث مرات "وهذا مرتبط بالحالة النفسية للشاعر، وموقفه الذي يريد تأكيده"[4].

يمكن القول: إن تجربة الشعر الحر في فترة الثورة إلى غاية الاستقلال كانت كما يقول عبد الله ركيبي[5] محدودة في أشخاصها وفي إنتاجها وفي مستواها، نظرا لظروف كثيرة من أهمها أن الشعراء كانوا في بداية تفتحهم، وأن اطلاعهم على الشعر الجديد كان محدودا نسبيا إلى جانب ظروفهم الخاصة، ولهذا قلت القصائد الحرة في فترة الثورة، الأمر الذي يدفع إلى القول إن هذا الشعر لا يمكن أن يدرس على أنه يمثل طفرة في الشعر الجزائري، ولكن يمثل خطوة نحو التجديد، وهذا لا يجعلنا نتصور كثرة في المضامين أو الخصائص التي لا تخرج عن:

أولا: كتابة الشعراء قصائدهم على أحد البحور المعروفة، لكن على شكل أشطر متتابعة،كي تظهر على معمار الشعر الجديد، مع تنويع القافية أحيانا والتزامها أحيانا أخرى.

---

[1] – المرجع السابق، ص95–96.

[2] – محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص247.

[3] – أبو القاسم سعد الله: ثائر وحب، ص26.

[4] – عبود شراد شلتاغ: حركة الشعر الحر في الجزائر، ص144.

[5] – عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص70.

ثانيا: المزج في القصيدة الواحدة بين طريقتي الشعر العمودي والشعر الحر.

ثالثا: الالتزام بالتفعيلة لا بعددها أي تكرارها حسب حالة الشاعر النفسية.

قصيدة النثر (الشعر المنثور)

لا نكاد نجد فيه إنتاجا يستوجب التقسيم والتنويه لضعفه الفني ولعل إمكانية إدراجه في النثر أصوب من إدراجه في الشعر، ذلك لأن هذا التيار لم يصادف نجاحا، ولا قبولا من طرف الشعراء، وإنما هو يحاول أن يجد الأرضية التي يقف عليها، بعد أن أخفق في إثبات ذاته في المشرق العربي حيث إمكانات النجاح والانتشار أوفر[1].

[1] – محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص184.

المحاضرة الثامنة: الفنون النثرية الجزائرية الحديثة

أولا– فن الرحلة. ثانيا – فن الخطابة.

أولا– فن الرحلة

تمهيد

أدب الرحلات من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القديم، و هو فن له خصائصه المعينة بل إنه – كما يقول الدكتور (شوقي ضيف) " يرفع التهمة التي ترى أن الأدب العربي لم يعالج فن القصة"[1]، لأن الحديث عن الأمم و البلدان و وصف المجتمعات التي يمر بها الرحالة أو يقصدها إنما هو بصورة ما لون من ألوان القص.

و هذا الفن موغل في القدم، عرفته قبل العرب أمم أخرى كالفراعنة و الفينيقيين و الرومان و الإغريق، ثم جاء الرحالة العرب الذين جابوا الآفاق. و اشتهر منهم كثيرون مشرقا و مغربا أمثال ابن جبير (وابن بطوطة) و (الادريسي) و (العبدري) و (العياشي) و غيرهم[2]، نقلوا إلينا ما كان يضطرب في العصور السابقة و شاهدنا من خلال رحلاتهم مستوى الحضارة التي بلغتها الشعوب، "وقد اعترف كثير من الباحثين الأجانب بفضل الرحالة العرب و نوهوا بقيمة رحلاتهم من حيث مادتها و أسلوبها و طريقة عرضها"[3].

و قد أسهم الرحالون الجزائريون في عصر الأتراك بمجهودات كثيرة في هذا المجال و مارس هذا الفن كتاب كثيرون و لا سيما تلك الرحلات الدينية التي كان يقصد منها لقاء شيوخ الطرق الصوفية و الاجتماع بهم أو السفر لأداء فريضة الحج، و بعض هذه الرحلات طبع حديثا و البعض الآخر لا زال مخطوطا حتى اليوم[4].

---

[1] – شوقي ضيف: فنون الأدب العربي – الفن القصصي، دار المعارف، مصر، 1956، ص 6.

[2] – عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1930–1974،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 48.

[3] – ينظر: كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1963، ص 25 وما بعدها.

[4] – عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1930– 1974، ص48–49.

ومن أشهر الرحالة الجزائريين في تلك الفترة :"أحمد بن عمار[1] (ت: 1206هـ-1791م). الذي كان أديبا وشاعرا، ألف رحلة أسماها: (نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب). وقد جمع فيها قصائد كثيرة في مدح الرسول شأن الأدباء والعلماء في ذلك العصر". ومحمد بوراس المعسكري"[2]، والورتلاني[3] الذي جمع في رحلته بين الأدب والتاريخ، وأسماها: (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار) وقد عرض تقاليد البيئة الجزائرية، كما تحدث عن التبشير وركز على التصوف. كذلك كتب أحمد بن هطال التلمساني (ت:1219 هـ)[4] رحلة باسم: (رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري) عرض فيها للأحداث التي عاصرها، كما نقل لنا عادات وتقاليد مواطنيه في الغرب الجزائري بوهران، كما تحدث عن سياسة الأتراك آنذاك[5].

وهناك رحالة آخرون في ذلك العصر كتبوا رحلات قيمة بعضها اهتم بالتاريخ وبعضها اهتم بالناحية الأدبية، وهي تتفاوت في أسلوبها، فإذا اهتم الرحالة بتصوير شعوره فيما شاهد، أو حاول استخلاص فكرة معينة فإن رحلته تدخل في مجال الأدب، لأنه ينفعل ويتأثر ويصور لنا هذا من خلال عمله الأدبي، ولكنه حين يصف الأشياء بنوع من التجرد فهنا يصبح مؤرخا لا أديبا لأن حظ الخيال في رحلته يكون قليلا.

و يمتاز أسلوب الرحلات عامة بالتسجيل و الوصف الإنشائي التعبيري و يعتمد على الملاحظة الدقيقة المباشرة أو على الخيال حين يكون الوصف للطبيعة أو الكون أوغيرهما مما ينفعل به الأديب الرحالة فيلونه بشعوره و إحساسه و يعطيه من نفسه الشيء الكثير.

أما عن الرحلات الجزائرية في العصر الحديث فهناك العديد منها ولكننا نتوقف عند البعض منها: بالنسبة للقرن التاسع عشر، أمامنا رحلتان أتجه صاحباهما إلى الخارج ليصفا لنا بيئة أجنبية،وينقلا عاداتها وتقاليدها.

---

[1] – من أدباء الجزائر أواخر العهد التركي، ولد بالجزائر ورحل إلى مكة سنة 1752 . توفي حوالي 1772.

[2] – كان معاصرا لابن عمار، حج إلى مكة وزار تونس ومصر، وله رحلة مخطوطة بالجزائر توفي حوالي1823م.

[3] – ولد ببجاية (بني ورثيلان)سنة1713 ، رحل مرتين إلى المشرق بقصد الحج. له قصائد في مدح الرسول، وأسلوبه يميل إلى السجع.

[4] – هو من علماء الغرب الجزائري، ألف رحلة سنة1787م، أستشهد في معركة بين الأتراك وابن الشريف الدرقاوي سنة 1804. نشرت رحلته أخيرا بعد أن حققها وقدم لها محمد بن عبد الكريم ، الناشر :عالم الكتب،القاهرة،1969 .

[5] – عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1930-1974، ص49.

الرحلة الأولى قام بها محمد السعيد بن علي الشريف[1] إلى فرنسا عام 1852م، لحضور مهرجان تنصيب نابليون الثالث، وقد اهتم في رحلته بأمور وظواهر كثيرة بسبب ثقافته المتنوعة، حيث نشأ في بيئة تعنى بالعلم وحينما قدر له أن يزور بيئة جديدة لم يكن مجرد سائح ،أو مسجل لمشاهد رآها ،وإنما حاول أن يستخلص بعض النتائج ،وأن يقارن بين الجديد الذي يشاهده، وبين القديم في بيئته.وساعده على ذلك ثقافته الفرنسية وولاءه للحكام الفرنسيين–خاصة الماريشال بيجو – وارتباطه بالإدارة الفرنسية التي استدعته ليكون ضمن الوفد المسافر إلى المهرجان المشار إليه.

أما الرحلة الثانية فقد قام بها سليمان بن الصيام[2] حيث زار فرنسا في الوفد نفسه الذي ذهب فيه الرحالة السابق للاحتفال بتنصيب نابليون الثالث، وقد عنى ابن الصيام في رحلته بوصف الطبيعة والآثار والقصور التي شاهدها ،والقطار والباخرة والمسارح والمكتبات[3].

وهو يبدأ رحلته بالبسملة والحمد فيقول: "نحمد الله حمدا، ونشكره على فضله الذي جعل الأرض ذلولا نمشي في مناكبها، وسخر لنا الفلك لتجري في البحر بأمره، ورفقه"

وحين وصل فرنسا بدأ بأول مدينة، مدينة سيد وأخذ يصف المخترعات مستعملا الألفاظ الفرنسية : "...جعلوا هذه الشرائط في الأرض يمينا وشمالا، مربعة مرتفعة مقوسة في أسفلها الذي تحت الأرض وفي الربع الأعلى ساقية تجري فيها رودة الكروسة ولا تخرج عنها ...من أغرب ما يكون مع استواء الطريق ووزنها بموازين الهندسة بحيث لا يعلو موضع على الآخر بشيء". ثم يستمر في وصف المدن والأنهار في فرنسا والباخرة التي تشق البحر..."[4]

هذا عن الرحلات في القرن التاسع عشر.أما عن الرحلات في القرن العشرين فقد اختلفت عما سبقها مضمونا وأسلوبا،لأن الرحلات في هذا القرن غالبا قام بها رجال الحركة الإصلاحية، من علماء وأدباء اتجه بعضهم إلى داخل الوطن لبث الأفكار الإصلاحية، ونشرها بين الجماهير، كما اتجه البض منهم إلى المشرق العربي للدراسة أو لخدمة الشعب الجزائري وقضيته الوطنية.

---

[1] – ولد قرب بجاية سنة 1826 وتوفي حوالي 1896م، وهو من أسرة تنتمي إلى إحدى الطرق الصوفية التي تعاونت مع الاستعمار منذ بداية الاحتلال.

[2] – ينسب إلى بلدة مليانة و هو من عائلة معروفة بولائها للفرنسيين، كان مثقفا ثقافة غربية مكنته من تولي مناصب إدارية وسياسية كبيرة توفي عام 1896م، وتاريخ ميلاده غير معروف.

[3] – ينظر: عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1930–1974، ص61.

[4] –المرجع نفسه، ص61.

من ذلك رحلات الشيخ ابن باديس التي سجلها لنا وأبرز فيها زياراته المختلفة لمدن وقرى القطر الجزائري وهو يطلق عليها لفظ نقلات، فيقول: "عرفتني تنقلاتي في بعض القرى ما في قلوب عامة المسلمين الجزائريين من تعظيم للعلم وانقياد لأهله، إذا ذكروهم بحكمة وإخلاص"[1].

ويصرح بأن هدفه من وراء رحلاته كان تذكير الناس بدينهم والرجوع إليه، ودعوتهم إلى "رفع الأمية والجد في أسباب الحياة"[2]. ثم يأخذ في وصف جولاته ويذكر أسماء مدن وقرى ويتحدث عن المساجد فيها، ويدعو إلى بناء مثلها كما يذكر أسماء شخصيات معروفة التقى بها هنا وهناك[3].

وقد كان الشيخ يواجه بأسئلة كثيرة تعبر عن انشغال الناس بأمور تبدو لنا اليوم غير مثيرة للاهتمام يقول: "أكثر ما سئلنا عنه بوجه عام هو التصوف،والولاية والكرامة والتوسل"[4] .

" وهناك رحلات لابن باديس للمشرق أو المغرب لكنها لم تلق العناية الكافية ولو سجلت لأفادت الدارسين للثقافة القومية، وأهمية هذه الرحلات أنها لم تستخدم للتنزه، أو تزجية الفراغ أو خدمة الحاكم الأجنبي، وإنما عنيت بتوعية الناس والدعوة إلى فكرة معينة".[5]

" ولا شك أن الشيخ الإبراهيمي له كذلك رحلات كثيرة داخل الوطن وخارجه، ولعل الكثير منها ما زال مخطوطا"[6].ويبدو مما نشر له أن أسلوبه يمتاز إلى حد كبير بالعناية بالصياغة والبيان والجمال الأدبي. ومن هذه الرحلات رحلة الأديب أحمد رضا حوحو عام 1950م، إلى الاتحاد السوفياتي[7] سجل فيها ما شاهده من تطور حضاري وصناعي وتقدم ثقافي في روسيا. وقد أطلق

---

[1]–عبد الحميد بن باديس: ابن باديس حياته وآثاره، إعداد وتصنيف عمار طالبي، ج4، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج بوداود، الجزائرن ط3، 1997، ص297.

[2] – المصدر نفسه، ص297.

[3] – عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1930–1974، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص68.

[4] – المصدر نفسه، ص319.

[5]– ينظر: عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص 69.

[6] – المرجع نفسه، ص نفسها.

[7] – أحمد رضا حوحو أديب جزائري من مواليد 1911 ، بسيدي عقبة بسكرة، استشهد في 1956، يعتبر رائدا في ميدان القصة القصيرة والمسرح. نشرت هذه الرحلة في حلقات في جريدة الشعلة الأسبوعية في: أكتوبر 1950 وما بعده، وكانت الجريدة تصدر بقسنطينة.

على هذه الرحلة عنوان: (وراء الستار الحديدي)[1]، يقول فيها واصفا الثقافة في روسيا:" الثقافة في بلاد السوفييت طابع ممتاز صبغت به كل ألوان الحياة هناك، فلا مفر للكبير والصغير من الثقافة والتعليم ووسائلها كثيرة متوفرة لكل راغب، والإقبال على التعليم عظيم جدا لأنه هو طابع الحياة في تلك البلاد، يجده الإنسان أينما حل ارتحل، في الحدائق، في المسارح، في المكاتب العامة، وحتى في المعامل"[2]

ويمضي بعد ذلك متحدثا بالتفصيل عن نظام التعليم هناك في كافة مراحله، وكيف أن شعارهم: لا طفل خارج المدرسة، ويفرد حديثا طويلا عن كلية الزراعة في روسيا وعن برامج الدولة فيها النظرية والتطبيقية.

أما الرحلة الثانية فكانت إلى المشرق العربي وقد كتبها محمد المنصوري الغسيري[3] حين ذهب عام 1953 مع وفد من الكشافة الإسلامية الجزائرية إلى مصر، ومنها انطلقوا مع الشيخ الإبراهيمي إلى الحج، ثم إلى بعض أقطار المشرق، وقد اختار لها عنوان: (عدت من الشرق)، عبّر فيها عن انطباعاته ومشاعره وأحاسيسه، كما سجل فيها مشاهد وصور ومظاهر البيئة التي زارها عبّر عن ذلك من زاوية المصلح الذي يدعو إلى فكرة معينة، لذا ركز كثيرا على المظاهر الثقافية والأدبية والعلمية والدينية[4].

ويرى الدكتور عبد الله ركيبي أن هناك رحلات أخرى غير ما ذكر، سواء في العهد التركي أو ما بعده لكنها ما زالت مجهولة وحين يكشف عنها ستكون شواهد تفيد المؤرخ والباحث الأدبي وغيرهما، مما يسهم في فهم حركة المجتمع فكريا واجتماعيا وثقافيا[5]

ثانيا: فن الخطابة

الخطابة نوع من أنواع النثر الفني الذي يعتمد على المشافهة، ويهدف إلأى الاستمالة والإقناع والتأثير في نفوس السامعين، وقد اتخذها الأنبياء والمصلحون أداة مهمة في نشر

---

[1] – ينظر: عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 70.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص71.

[3] – أحد رجال الحركة الإصلاحية من الأوراس، أسهم في الثورة الجزائرية ومثلها في عدة بلدان عربية، كما أنه كان سفيرا في بعض هذه البلدان بعد الاستقلال. توفي سنة 1974.

[4] – ينظر: عبد الله ركيبي: النثر الجزائري، ص 71–72.

[5]– ينظر: المرجع نفسه، ص74.

تعاليمهم، وشد أسماع الناس إليهم. وقد وجد العرب في الخطابة خير وسيلة لإثارة الحماس والحث على القتال، وجلب النفع ودفع الضرر ومقارعة الظلم وحقن الدماء، لهذا اعتنوا بها عناية فائقة، فهي من مستودعات سر البلاغة ومجامع الحكم، بها تفاخر العرب قديما وحديثا. واشتهر بها عدد من الخطباء حتى أنه ضرب بهم المثل في الفصاحة والبيان وطلاقة اللسانعلى رأس هؤلاء "قس بن ساعدة الأيادي" الذي كان أول من قال في الخطبة: (أما بعد). وسار الآخرون على منواله وهو أيضا أول من اتكأ على العصاعلى المنبر. ومن الخطباء "أكثم بن صيفي" الذي لا يقل شأنا بفصاحته وبلاغته وطلاقة لسانه.

ولأن الدعوة الإسلامية كانت في بدايتها ، ظهرت الحاجة إلى إنشاء واقع أدبي جديد، فتحول الاهتمام من الشعر إلى النثر. وظلت الخطابة في نفس الدرجة من العناية خلال العصور التي تبعت العصر الإسلامي الأول، فاعتنى الخلفاء الأمويون والعباسيون ومن جاء بعدهو بها.

تعريف الخطابة

هناك جملة من التعريفات لهذا الفن الأدبي الذي حظي باهتمام الفلاسفة وعلماء المنطق والأدباء، فوضعوا له تعريفات كثيرة منها:أن الخطابة (قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة)[1]. وأنها (قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم)[2]. وهي (فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته)[3]. وهي أيضا (فن أدبي هدفه التوجيه والتحويل والاستمالة والإقناع)[4].

وأخيرا هي:(فن من فنون الأدب النثري، مختص بكلام يلقى إلقاء أمام جمهور مستمع، ويعرف بالخطبة، ويهدف إلى توضيح أمر أو قضية هما مثار جدل، لإفهام هذا الجمهور و توجيهه واستمالته بإثارة عواطفه، لاتخاذ موقف ما، هو الموقف الذي يرمي إليه الخطيب)[5].

---

[1]–أرسطو طاليس: الخطابة، تحقيق وتعليق عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، لبنان، 1979، ص9.

[2]– على بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت،1985، ص104.

[3] – أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط4، ص15.

[4] – جورج غريب: صدر الإسلام، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1983،4، ص57.

[5] – أنطوان القوال: فن الخطابة ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص11.

فهذه التعاريف الأول يركز على الإقناع دون أن يضع المخاطب في أولويات اهتمامه . والثاني يركز على الجانب المنطقي للخطبة أي أنه يضع الخطيب في أولويات اهتمامه، مع عدم إهمال المتلقي (يركز على الخطيب المتصف بالمنطق، والخطبة القائمة على المقدمات والنتائج وعلى المتلقي الإقناع والاستمالة). والثالث يركز على الأداة المستعملة في الخطبة وهي المشافهة قصد إقناع واستمالة المتلقي. والرابع تعريف أدبي يركز على المتلقي قصد توجيهه واستمالته وإقناعه. والأخير تعريف خاص بهذا اللون الأدبي من الفنون النثرية روعي فيه الخطيب والمتلقي معا. فهذه التعريفات تفرّد كل واحد منها بخاصية أو أكثر إلا أن هناك ما يجمع بينها جميعا خاصة ما تعلق بالمتلقي كالإقناع مثلا.

حين تدهور الأدب العربي في العصور التالية (عصر الانحطاط) حتى عصر الأتراك باتت الخطابة تقليدا أكثر منه إبداعا، ومالت إلى الرتابة فظهر التكلف في أسلوبها، واقتصرت أغراضها على المناسبات الدينية .

الخطابة في الأدب الجزائري الحديث

حين تدهور الأدب العربي بعد العصر العباسي حتى عصر الأتراك، أصبحت الخطابة مجرد تقليد، ومالت إلى الرتابة وظهر التكلف، في أسلوبها وطابعها العام، واقتصرت أغراضها على المناسبات الدينية يكرر فيها الخطيب معاني السابقين، "كان بالإمكان أن تستمر الخطابة في الجزائر على هذا النحو بعد الاحتلال لولا ظهور الأمير عبد القادر وبعض المثقفين الجزائريين الذين ملكوا ناصية اللغة وأدركوا قيمة الخطابة في الدعوة إلى الجهاد واستنفار الذين يحاربون الأعداء، خاصة وأن فترة الاحتلال تساعد هذا اللون من النثر، لكون الصراع بين الجزائريين والاستعمار بلغ ذروته في الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر، الأمر الذي ساهم في تغيير أسلوب الخطابة ومضمونها أيضا"[1] .

والنماذج التي بقيت لنا من تلك الفترة تدل على أن الخطابة تحررت من أسلوب السجع المتكلف المقصود لذاته، ومالت إلى البساطة في التعبير، والقصد في القول دون إطناب إلا في المناسبات التي تتطلب الكثير من الإقناع، أما في الدعوة إلى الحرب وشحذ الهمم للدفاع عن

[1] – عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1830–1974، ص14.

الوطن ومقدساته فإن المجال يقتضي التركيز والإيجاز، كما يقتضي التعابير الحماسية، ولنتأمل هذا النص للأمير عبد القادر :

" ...أما بعد: فلا يخفى أن الله تعالى قال في كتابه المجيد: يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة. وقال: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله".

فالبداية كما تلاحظ بالقرآن لتحرك همم الجنود وتساعد على التأثير في نفوسهم وتهيئتهم لكي يقتنعوا بالأفكار التي حث فيها على قتال الفرنسيين بعد أن نقضوا العهد.

"وهؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا، وصدقناهم فغدروا، وصابرناهم فلم يصبروا، وإن تركناهم وشأنهم، فلا نلبث أن نراهم قد فتكوا بنا على حين غفلة"[1].

من خلال هذين النموذجين نلاحظ تأثر الأمير بأسلوب الإمام علي بن لأبي طالب رضي الله عنه، وطريقته في مراعاة الفواصل والمقابلة بين الكلمات والعناية بتوليد الصيغ والمعاني.

وبعد أن أعدّ الأمير النفوس لما يهدف إليه، وبيّن كيف أن الأعداء لم يحافظوا على العهود، يتجه إلى جنوده يدعوهم لتلبية نداء الجهاد:

"فهيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد، وهلموا إليه باجتهاد وارفعوا عن عواتقكم برود الكسل، وأزيلوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجل، أما علمتم أن من مات منكم مات شهيدا ومن بقي نال الفخار وعاش سعيدا".[2]

ما يلفت نظرنا هو أن السجع غير متكلف ولا مقصود لذاته، ثم إن الأمير لا يطيل في هذه الخطبة ولا يطنب بحيث لا نحس بالملل ونحن نقرأ خطبه.

وإليك هذا النموذج من خطبة لعم الأمير عبد القادر علي أبو طالب أمام مجلس من العلماء وأعيان الدولة يتحدث عن الحالة التي كانت عليها البلاد وما أحدثه فيها الاستعمار من اضطراب وفساد معتمدا على العاطفة الدينية حتى يقنع الناس، يقول: " ...وقد علمتم– أيها السادة –أنه لما تكاثرت المظالم، وتواطأ العمال، ومن وافقهم على ارتكاب المآثم، انتقم الرب تعالى منهم، وعمّنا ذلك معهم قال تعالى: واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة" الأنفال25. فسلط الله علينا

[1]– محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، دار اليقظة العربية، دمشق، ط2، 1964، ص236.

[2] – المصدر نفسه ص ن.

عدو ديننا، فتكالب على بلادنا، واستولى على مراسينا، واستبدل مساجدنا فيها بالكنائس، وأخلاها من المدرس والدارس، فخرج لذلك أهل قطرنا، وضاقت بهم أرض مغربنا، واستبدلوا القصور المشيدة بخيام الشعر، ومضارب الوبر، وتفرقوا أوزاعا في المواطن، وتباينوا في الموارد والمعاطن، وتغيرت الأحوال، واشتبه الممكن بالمحال، و توالى الحل والارتحال، وضعف الرجاء في أن يثوب المسافر، ويعود الشارد النافر، إلى أن طالت القصة، وعز ما ندفع به هذه الغصة، ومالت شمس الاتفاق إلى الأفول، وتهيأ جند التناصر والتعاضد للرواح والقفول.."[1]

فالقارئ لهذه الخطبة يلاحظ مدى تعبيرها عن واقع الناس وتصويرها لحياتهم، في أسلوب واضح بعيد عن التكلف الزائد مراعيا لطبيعة المرحلة التي تعيشها الأمة.

ومن خلال النماذج السابقة فإن الخصائص التي نلاحظها على خطب الأمير هي:

1-التحرر من السجع المتكلف والميل إلى البساطة، والقصد في القول، واعتماد الكثير من وسائل الإقناع.

2- خاصية الحماسة لأن الخطيب كان في موقف يدعو فيه الناس إلى الجهاد .

3-طغيان النظرة الدينية على الخطباء، لأن الغزاة في نظر الناس كانوا كفارا، احتلوا بلدا عربيا مسلما، يجب محاربتهم،يتجلى ذلك في الآيات والأحاديث النبوية التي كان الخطيب يستشهد بها.

4-وضوح الأسلوب الذي لا تكلف فيه وورود السجع وسائر المحسنات عفويا إلا في النادر حيث يقصد إليه الخطيب قصدا، لإظهار قدرته وبراعته في اللغة وتبحره فيها ومعرفته الواسعة بمفرداتها وأساليبها.

مرحلة ما بعد الأمير عبد القادر

تدهورت الخطابة وضعفت لظروف تتصل بالحياة الأدبية والثقافية والفكرية والسياسية، "فقد هيمن الاستعمار على الواقع وأثر في مجرياته، فكان تأثيره قويا على أداة الخطابة (اللغة) التي ضعفت وكادت تختفي من الحياة الأدبية الثقافية، الأمر الذي أثر في أسلوب الخطابة كما أثر في غيرها من الفنون الأدبية النثرية، وكان أن انحصرت الخطابة في دائرة ضيقة بعيدة عن واقع

[1] – عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص13.

المجتمع وظروفه وأوت –مثل اللغة– إلى المساجد والزوايا وباتت تقليدا لعصور الانحطاط بل أشد ضعفا منها سواء من حيث أسلوبها أو موضوعها".[1]

مرحلة ظهور جمعية العلماء

بعد أن انتشرت الأفكار الإصلاحية، واتصلت الجزائر بمن حولها، ونشأت النوادي والجمعيات الثقافية، وانتشرت الصحافة الوطنية، أدى كل ذلك إلى ظهور خطابة متطورة في أسلوبها ومضمونها "إذ كان طبيعيا أن تنشط الخطابة في جو يمتاز بالحركة والصراع والدعوة إلى فكر يستمد أصالته من العصور الذهبية للخطابة العربية، ويعتمد على الفصاحة والبيان العربي المشرق".[2]

فقد ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مرحلة تتطلب خطباء ذوي فصاحة وبيان لنشر أفكارها ومبادئها بين الناس، لأن بث الفكرة الإصلاحية يتطلب قدرة على الإقناع واتصالا مباشرا مع الجماهير في شتى أنحاء الوطن، فكانت الخطابة أداة صالحة لذلك "وعلى الرغم من أن معظم الخطب التي قالها رجال الفكر الإصلاحي لم تسجل ولم يعن بها الدارسون، إلا أن ما بقي منها يدل على أن الخطابة تطورت كثيرا في أسلوبها ومحتواها، وأصبحت فنا يعتمد الموهبة والثقافة والارتجال في كثير من الأحيان، كما يدل أيضا على عناية المصلحين بهذا الفن الذي ساعدهم على نشر دعوتهم بين الجماهير التي كانت أمية في الأغلب"[3]

ومن أشهر خطباء الإصلاح الذين اشتهروا بالفصاحة وقوة البيان ،الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889–1940). الذي توفرت فيه شروط الخطيب المقنع من: سعة ثقافة، وإلمام بقضايا الوطن، وقدرة على الارتجال والإقناع، ومعرفة كبيرة بالجوانب الفنية للخطابة، وإيمان بما يدعو إليه. وقد اكتسب الإمام كل هذا من أسلوبه في التربية والتكوين الذي استفاده من شيخه حمدان الونيسي. ومن خطبه هذا النموذج الذي ألقاه سنة1937 :

"الحمد لله الذي فضلنا بالعقل، وكملنا بالعلم، وجملنا بالفضيلة، وأسعدنا بالهداية والتوفيق. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الكامل بالفطرة المكمل بالعصمة، المبعوث إلى الخلق رحمة،

---

[1] – المرجع السابق، ص24–25.

[2] – المرجع نفسه، ص26.

[3] – المرجع نفسه، ص26.

الداعي بالحكمة والموعظة الحسنة إلى أقوم طريق، وعلى آله المنبثقين من أكرم نبعه، والمتحدرين من أطهر مزنه، والنابتين من أطيب تربه،...وعلى أصحابه الذين نشروا الملة، فبينوها بأسلحة الألسنة، وحموها بأسل الأسنة، حتى تبحبح الناس من الإسلام والسلام في روض أنيق وعلى التابعين لهم من جميع الأمة المقتفين آثارهم بحق وقوة، المجددين عهدهم بعلم وحكمة،...

أما بعد فحياكم الله أبناء العروبة والإسلام، وأنصار العلم والفضيلة، حوربت فيكم العربية حتى ظُن أنه قد مات منكم عرقها، ومسخ فيكم نطقها، فجئتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وتهدر خطباؤكم بشقاشقها فتدك الحصون والمعاقل ،ويهز كتابكم أقلامها فتصيب الكلا والمفاصل.

وحورب فيكم الإسلام حتى ظن أنه طمست أمامكم معالمه، وانتزعت منكم عقائده ومكارمه، فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد، وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد...وحورب فيكم العلم حتى ظن أن رضيتم بالجهالة، وأخلدتم للنذالة ..

نعم- أيها الإخوان- نهضنا بعد أن صهرتنا بنار الفتنة والابتلاء حوادث الزمان، وقارعتنا وقارعناها الخطوب، ودافعتنا ودافعناها الأيام "ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين" البقرة251.

نعم نهضنا بعد قرن، بعد ما متنا وأقبرنا، أحيينا وبعثنا سنة كونية فقدناها من القرآن، ونعمة ربانية تلقيناها من الملك الديان...[1] وهي خطبة طويلة متعددة الموضوعات. وابن باديس لا يركز في خطبه على موضوع واحد، بل نجده حينا يركز على الدين، وحينا على الإصلاح والاجتماع، وأحيانا أخرى على السياسة والإصلاح معا، وعلى التربية والأخلاق في أوقات كثيرة. ومن سماته أنه لا يتكلف في خطبه، ولا يتظاهر بالفصاحة، ولا يستخدم الخطابة لإظهار قدرته على القول، إنما يستخدمها ليؤكد أغراضه وأهدافه الإصلاحية، والوطنية، لذلك ينتهز الفرصة لشرح وتوضيح هذه الأفكار، وهو حين يرتجل يختصر، وحين يكتب يطيل ويفصل.

ومن أبرز أعلام الخطابة الذين لا يقلون شأنا عن ابن باديس في زمانه: البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، السعيد الزاهري، العربي التبسي، أحمد توفيق المدني، الفضيل الورثلاني أبو اليقظان وغيرهم.

[1]- عبد الحميد بن باديس، الآثار ، ج4 ، ص202-205.

وإلى جانب الاتجاه الإصلاحي في الخطابة هناك اتجاه آخر يركز على الناحية السياسية الوطنية ويهاجم الاستعمار بجرأة وصراحة، يمثله خطباء حزب الشعب "الذين ذهبت آثارهم، ذلك أن طريقهم في مهاجمة السلطات الاستعمارية جعلت من الصعب نشر خطبهم أو تسجيلها، كما أن صحفهم كانت تصادر باستمرار"[1]

موضوعات الخطابة في النثر الجزائري الحديث

أولا: موضوعات سياسية: نقصد بها ما تعلق بالاستعمار، ومصادرته حقوق الجزائريين وتضييقه على اللغة ومحاربته للإسلام ومحاولة تشويه صورته، مع العلم أن جمعية العلماء لم تكن تعرض للقضايا السياسية مباشرة وإنما كنت تعالج قضايا اجتماعية أو ثقافية ومن خلالها تبث أفكارها السياسية.

ثانيا: موضوعات اجتماعية: لإصلاح ما أفسده الاستعمار، وإعادة بناء الفرد بناء متكاملا ولعلنا نلاحظ ذلك في ما تناولته الخطب من ظواهر اجتماعية، كالجهل والأمية والانحراف الخلقي، الدعوة إلى الاتحاد ونبذ الفرقة والاختلاف، وقضية التعليم...

ثالثا: موضوعات دينية: تتمثل فيما كان يلقى من خطب في المناسبات الدينية وغير الدينية، يتناول الخطباء من خلالها كل ما تعلق بالإسلام وما يدعو إليه.

خصائصها :

1- الالتزام والواقعية: وهو الوقوف إلى جانب القضايا الوطنية سياسية كانت أو اجتماعية أو ثقافية والتعبير الصادق عن مشاعر الشعب في جميع أحواله.

اللغة والأسلوب:

أ- اللغة: وتمتاز ب:- السهولة والمباشرة والطابع التقريري والسمو باللغة إلى مستوى رفيع واقتباس هذه اللغة واستلهام معانيها من الدين الإسلامي.

ب- الأسلوب: ويمتاز بالوضوح والموسيقى الناتجة عن المحسنات البديعية المختلفة.

[1] - عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص27.

المحاضرة التاسعة: الفنون النثرية الجزائرية الحديثة (تابع)

ثالثا- فن المقالة. رابعا- فن الرسالة

ثالثا: فن المقالة

تعريف المقالة أ- لغة: تعني القول من قولنا:" لكل مقام مقال".

ب- اصطلاحا: هي فن من الفنون الأدبية النثرية، وهي البحث القصير في الأدب أو السياسة أو الاجتماع...وتقدم للقارئ بطريقة مشوقة .

نشأتها: ارتبط ظهورها بظهور الصحافة وهي ثمرة من ثمار الاتصال بالآداب الأوروبية،انتقلت إلى الأدب العربي بظهور أول الصحف العربية ك(الوقائع المصرية 1828م،حديقة الأخبار البيروتية 1858م، الأهرام 1875 م).

جذورها في الأدب العربي: لا تتعدى العصر العباسي حيث نجد ما يشبه المقال في كتابات: ابن المقفع، الجاحظ،ابن قتيبة،وعبد الحميد الكاتب. فكتابات هؤلاء تشبه المقالة الحديثة في :تناول فكرة محددة، واستيفاء جميع جوانبها،والاستعانة بأدوات الإقناع كالتحليل والتعليل والتدليل وتختلف عن المقال الحديث في الطول، وافتقارها إلى خصائص المقال الحديث (مقدمة،عرض،خاتمة).

أولا: عوامل ظهور المقالة الأدبية وتطورها في الجزائر

عرفت الجزائر المقالة الأدبية منذ أن عرفت الصحف الوطنية الراقية التي اتخذت من اللغة العربية لسانا لهافي مطلع القرن العشرين. فقد ظهر كتاب بارعون نهضوا بالمقالة الأدبية، ولعل الذين طوروا فن المقالة في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين: قدور بن عمر، محمود كحول، وسعيد الزاهري، وعبد الحميد بن باديس، والطيب العقبي[1].

أما عن العوامل التي أدت إلى ظهور المقالة الأدبية في الجزائر، وتطورها حتى صارت قبل ثورة 1954 تضاهي أرقى المقالات الأدبية في أي قطر عربي آخر، فهي:

1- انتشار الصحافة العربية في الجزائر: ترعرعت المقالة الأدبية في الجزائر، ونمت أركانها في أحضان الصحافة التي فتحت المجال واسعاً أمام المبدعين الجزائريين لنشر أفكارهم وآرائهم بغير

[1]- ينظر: عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص84.

قيد، على الرغم ممّا كانت تتعرّض له من اضطهاد وحجر ومصادرة وتنكيل بكتّابها والمشرفين عليها. حيث لوحظ أن جل الأدباء والمثقفين الجزائريين نشطوا في تأسيس الصحف التي كانت في معظمها أسبوعية، والتي اتخذوا منها منابر حرة للتعبير عن آرائهم، ونشر أفكارهم بأسلوب أدبي راق، على الرغم من أن عين الاستعمار لا تنام ويده لا تنكمش عن أصحاب العربية، الأمر الذي عطل تطور هذا الفن و أعاق انتشاره. لكن الذين كانوا يناضلون بالكلمة عرفوا بالتحدي والثبات على المبدأ، والعناد. فكلما تعطلت صحيفة خرجت أخرى باسم مغاير...راجع أثر الصحافة في النهضة الشعرية.

2- حب التعبير عن الرأي: "كان الكتاب الذين يحيون في هذه الفترة، ينفعلون كالبراكين المشحونة بالحمم. فما هو إلا أن يجيش في أنفسهم شيء من الأشياء ذات البال، أو يعتلج في صدورهم أمر من الأمور الجسام، وإذا أقلامهم تتحرك سيالة ماضية لا تلوي على شيء حتى تستكمل المقالة المدبجة أسبابها"[1]

وعلى الرغم من تعدّد موضوعات المقالة الأدبية وتشعبّها إلاّ أنها ظلّت تعالج قضيّة الجزائر بكلّ الأبعاد، التاريخية منها والسياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية، وذلك قصد التحرّر من أيّ شكل من أشكال السيطرة الأجنبية. حيث كان الكتاب الإصلاحيون خلال هذه الفترة ملتزمين بالقضايا الوطنية أشد الالتزام يتحمسون لكل ما له صلة بالحياة العامة، فيكتبون عنه.

3- الصراع الفكري بين المثقفين: كان الاختلاف في الشارب والتباين في الاتجاه هو مصدر هذا الصراع الفكري لأن المثقفين الجزائريين كانوا طبقتين أساسيتين مختلفتين "اتجاه محافظ يجنح إلى الاستعمار ويخلد إلى الدعة والراحة، ولو بالتفريط في ذات الكرامة الوطنية، واتجاه متحرر إصلاحي يميل إلى التعلق بأسباب السيادة ولا يضن في سبيل بلوغها بشيء، فكان الاتجاه الثاني مضطهدا يعاني صنوفا من العذاب، وألوانا من الإرهاق، ونشأ الصراع الفكري حركة أدبية خصبة في الجزائر، فظهرت المقالات ذات النفس الطويل والأسلوب الأنيق، والتحليل المنطقي العميق...فعدد ضخم جدا من المقالات كتب في دائرة الصراع الفكري الذي وقع بين الاتجاهين:

[1] - عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954، ص88.

الإصلاحي والصوفي أو بين التقدمي والمحافظ"[1]. وفي هذا السياق تدخل مقالات ابن باديس والإبراهيمي ومحمد السعيد الزاهري في الرد على الطرقيين.

4- صلة الكتاب والأدباء والمصلحين الجزائريين بالنهضة المشرقية، و اقتفاؤهم لأثر المشارقة إلى جانب الحركات السياسية و الإصلاحية التي لعبت دورها في هذه اليقظة الفكرية، الأمر الذي أسهم في أن تتعدد الأساليب وأن تظهر الأشكال الأدبية مثل المقال الذي يعالج مشاكل سياسية ثم إصلاحية ثم أدبية إصلاحية، ثم أدبية صرفة بحيث يمكن القول إن إيمان الكتاب بدور المقال في الحياة الأدبية و الفكرية والاجتماعية قد أسهم في انتشاره و ساعد على تطوره، فقد نشأ أولا و أخيرا في أحضان الحركة الإصلاحية التي كان كتابها يصدرون عن رؤية دينية إصلاحية، وينفعلون بما يكتبون ويعبرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه المجتمع و الحياة، و من ثمة بدأ المقال الإصلاحي يتجه إلى مخاطبة العاطفة والتأثير في الوجدان، ثم التعبير عن شخصية صاحبه.

ثانيا: اتجاهات المقالة الأدبية في الجزائر

يقسم الدكتور عبد المالك مرتاض اتجاهات المقالة الأدبية في الجزائر إلى عدة اتجاهات[2]:

1- الاتجاه الأدبي الذي عالج قضايا قضايا أدبية عامة وقدم تراجم ودراسات لشخصيات أدبية. ومن الذين برزوا في هذا المجال:أحمد رضا حوحو، أحمد بن ذياب، حمزة بوكوشة، عبد الوهاب بن منصور، عبد المجيد الشافعين برزوا خاصة في البصائر الثانية.

وعلى الرغم من تعدّد موضوعات المقالة الأدبية وتشعبّها إلاّ أنها ظلّت تعالج قضيّة الجزائر بكلّ الأبعاد، التاريخية منها والسياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية، وذلك قصد التحرّر من أيّ شكل من أشكال السيطرة الأجنبية.

وخاضت المقالة الأدبية في معظم الموضوعات، وتعلقت بأهم الأسباب التي كانت تشغل أذهان المثقفين في الجزائر وفي الوطن العربي بوجه عام. ومما شاع على أقلامهم في هذه الفترة: الموضوعات الأدبية والدينية الإصلاحية والاجتماعية والتاريخية والعلمية. فقد ابتعدوا عن

---

[1] - المرجع السابق، ص 89.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص 93-160.

الموضوعات الذاتية ولم يكونوا يعالجون إلا ما كان له علاقة بالحياة العامة[1]، أي ما كان له صلة وثقى بقضايا الشعب الجزائري والدفاع عنها والمطالبة بها، وأكّدت في مضمونها (المقالة) – وخاصة عند الإبراهيمي– معنى أساسياً كان أبرز المعاني الجوهرية في معركة الإصلاح وذلك بالدفاع عن الإسلام واللغة العربية والشخصية الوطنية، وترسيخ هذه المقوّمات في نفوس أبناء الجزائر الذين يحاربون الاستعمار ويتأهّبون للقيام بثورة عارمة ضده.

وسعت تلك المقالات إلى إقناع أفراد الأمة بأفكارها وموضوعاتها التي ارتكزت على الواقع لمعالجته وتغييره، وتحليل علاقة الإنسان بالوسط الاجتماعي بوصفها الإعداد المعنوي لكلّ عمران، فسلمت تلك الأفكار من التناقض وأدّت إلى نتائج ملموسة إذ تفهمّها القرّاء وتشبّعوا بها وعملوا على تغيير واقعهم.

والقارئ للمقالات حتّى وإن وجدها تعالج مصطلحات كالأدب أو دور الأديب في المجتمع، فإنّه يدرك أن الغرض من أفكارها هو وضعها في إطارها العلمي والاجتماعي لكي يتبنّاها الناشئة ولا يزيغوا عنها، فينفعوا بها الوطن، ويقاوموا الاستعمار بسلاح القلم في موازاة سلاح السيف.

ولقد تعددت الموضوعات بتعدّد اهتمام الفرد الجزائري، وتداخلت المجالات في العديد من المقالات، فكان بينها الانسجام والتكامل، ونشأ عنها قيام كلّ مجال بالوظيفة المنوطة به خدمة للغرض العام الذي يقصده الكاتب.

ويتجلّى في خطاب المقالة ألإقناعي مجال التاريخ المسخّر لخدمة الواقع والتخلّص من معاناته وويلاته، وهو مسخّر لبناء مستقبل فيه الأمل والحضارة والعمران وأرقى السلوكات والعلاقات والمعاملات. فالتاريخ له أثره الخصب في الإقناع وهو عنصر يستشهد بحوادثه وقصصه ليتخذ المتلقي العبرة ممّا فات، ويتهيّأ لما هو آت، "وتتمثّل الاستعانة به في البحث عن الحجج اليقينية التي تشكّل المادّة الاستدلالية للمقالة"[2].

ويلاحظ –أيضاً– أنّ المجال السياسي في مثل مقالة إلى "أبنائي الطلبة"[3] للإبراهيمي، يقوم بتبصير الطلبة بالوضعية العامّة للأمّة والمخاطر الاستعمارية التي تحيط بها، ويرتبط العنصر

---

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص93.

[2] –عبد الحميد بوزوينة، بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1988، ص45.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت)، ج2، ص215.

التاريخي بهذا المجال الذي وظف توظيفاً نفسياً على أساس كونه مجموعة حوافز تذلل الصعاب، أمام طلبة العلم الذين سيتّخذون أجدادهم العلماء نماذج حسنة يجمل تمثّلها.

والمقالة –السابقة– إصلاحية متضمنّة الأبعاد التاريخية، أقام فيها البراهين الدامغة على إمكانية العودة في القضايا الكبرى إلى العلماء، وكون أحوال الأمّة سيّئة راجعة إلى تهاونهم في هذا الواجب وعدم إسناد الأمر إليهم.[1].

2- الاتجاه الاجتماعي: الذي عني أصحابه بالقضايا الاجتماعية كإصلاح المفاسد وتقويم الاعوجاج والتربية والبغاء، اليتم، التشرد، التسول مشاكل الأسرة كالطلاق و الفقر والجهل والأمية والتخلف ومن الذين برزوا في هذا المجال: أبو عزيز بن عمر، أبو يعلى الزواوي، أحمد بن ذياب، الإبراهيمي، أحمد بن عاشور، وعمر العرباوي، وغيرهم في (البصائر الثانية).

3- الاتجاه السياسي: الذي عالج ما يتعلق بالسياسة الداخلية كقرار الثامن مارس المشؤوم، ومذبحة ثامن ماي، وقضايا سياسية مختلفة مثل فصل الدين عن الحكومة الفرنسية والحرية الدينية واللغة العربية والانتخابات. ومن أبرز كتاب هذا الاتجاه: عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، فرحات عباس، أبو عزيز بن عمر (البصائر الثانية).

ومن قضايا السياسة الخارجية: قضية المغرب العربي، قضية فلسطين، أحداث العالم الإسلامي، العالم بوجه عام. ومن أوائل الكتاب: ابن باديس الإبراهيمي، أحمد توفيق المدني (البصائر الثانية).

4- المقالة الإصلاحية: ومن المواضيع التي عالجتها:الصراع بين المصلحين والطرقيين ومن الكتاب في هذا الاتجاه ابن باديس، الإبراهيمي، محمد السعيد الزاهري، فرحات بن الدراجي، حمزة بوكوشة (الشهاب، البصائر الأولى، البصائر الثانية).

5-المقالة الدينية: عني الكتاب الجزائريون بهذا النوع عناية فائقة وعلى رأسهم ابن باديس الذي كان ينشر كل شهر مقالا في الشهاب بعنوان (مجالس التذكير)، والإبراهيمي، والشيخ أحمد سحنون الذي كان يكتب مقالاته الدينية تحت عنوان رئيسي واحد هو: (منبر الوعظ والإرشاد) في جريدة البصائر الثانية[2].

---

[1] – ينظر: عبد الحميد بوزوينة، الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، ص13.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص159

أما فيما يتعلق بالمقالة الصحفية وأشكالها واتجاهاتها في النثر الجزائري فهناك دراسة جامعية وافية بهذا الغرض[1] لذا نكتفي بالإشارة إلى أن المقالة الأدبية جاءت متأخرة عن المقال الصحفي.

و يمكننا أن نرصد نوعين من المقال:

ثالثا: الإطار الفني للمقالة

– مقدمة: يعمد فيها الكاتب إلى وضع القارئ في جو النص.

2– العرض: يبسط فيه أفكاره مستعينا بالأسلوب الموائم، معتمدا على الحجج والأدلة المناسبة.

3– خاتمة: وتختلف باختلاف موضوع المقالة فقد تكون انطباعا أو تنبيه على خطر، أو لفت نظر إلى حلول.

رابعا: الخصائص الفنية للمقالة عند زعماء الإصلاح

1– المنهجية الدقيقة والعرض المنطقي.

2– الجمع بين جمال الصياغة والتعبير عن الفكرة.

3–الرسالية: لم تكن مقالاتهم لغرض الإمتاع وإنما كانت التزاما بقضايا مجتمعهم وأمتهم.

4–السخرية الحادة

5– ظاهرة الاقتباس والتضمين.

6–اللهجة العنيفة عند المناقشة.

7–النزعة التعليمية[2]

وهي جوانب أساسية في بناء الخطاب لما تضمّنه من محاكمة عقلية تنزع نحو الإقناع وإحداث اليقين لدى المتلّقي حتّى يعلم أنّ مايقوله الكاتب لهو الصدق وكبد الحقيقة.

وهذه العناصر هي مقوّمات الخطاب لما لها من تأثير نفسيّ على القارئ، وتحدث الانفعال اللازم لديه، وقد تجتمع برمّتها أو يطغى واحد منها أو اثنان على سائر المقالة.

ولكن ما يلاحظ أن الأسلوب الحاد كان الصفة المميزة –في الغالب– للكتابات المقالية في الجزائر، ولا يعتقد أنّ الأدب العربيّ الحديث بوجه عام احتوى على هذا العنصر حين معالجة

[1]– محمد الصالح ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية من 1847 إلى1931، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة الجزائر، فيها حديث واف عن نشأة المقالة الصحفية والعوامل التي أثرت فيها مع نماذج مختلفة لكتابها.

[2] – ينظر: عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931–1954، ص376.

الموضوع أو مناقشة الخصم وجداله ما احتواه أدب المقالة الجزائرية. وأشهر من يمثّل هذا الاتّجاه الإبراهيمي الذي كان "يرمي خصمه بألفاظ حداد كأنها شفرات ماضية أو شظايا محرقة"[1]. خاصة وأنّ اللغة كانت تسعفه بتعابير ملتهبة تذيب الحجر[2].

رابعا: فن الرسالة

أما الرسائل فمع أن دورها أقل بكثير من دور الخطب إلا أنها خدمت الأدب الجزائري الحديث بوجه من الوجوه في فترات معينة. و المعروف أن هذا اللون من النثر بدأ يزدهر في الأدب العربي منذ عصر التدوين و خاصة حين أنشئت المكاتبات الديوانية و اتسعت رقعة الخلافة العربية الإسلامية فكان لا بد من كتاب ينقلون أوامر الخلفاء إلى الولاة أو يشرحون شئون السياسة و الاجتماع، و من هنا بدأت العناية بالرسائل و أساليبها، فالكاتب فضلا عن أنه يعبر فيها عن موضوعه الخاص، فإنه يجتهد في أن يكون أسلوبه جميلا مؤثرا متماسكا في صيغه و محتواه بحيث تبرز فيه شخصيته و أصالته و طريقته الخاصة في التعبير و الإنشاء. و قد اشتهر في هذا المضمار كتاب بارزون أمثال (عبد الحميد الكاتب) و(ابن المقفع) و غيرهما، كما ظهرت المدارس الأدبية في النثر مثل مدرستي (القاضي الفاضل) و (ابن العميد) . وقد قيل:" بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد"[3].

و قد اتسمت كتابة الرسائل بخصائص معينة منها الملاءمة بين الموضوع و الأسلوب و العناية بالصياغة و بالسجع بوجه خاص و مراعاة الفواصل بهدف إحداث المتعة الأدبية أو إظهار البراعة اللفظية.

و لكن بعد هذا أصبحت الكتابة تكلفا في هذه الخصائص و مالت إلى إظهار البراعة اللفظية، كما كثر البديع بشتى أنواعه في أساليب الكتاب و تحجرت طرق البيان و تجمد الأدب العربي حتى بلغ نهايته في عصر الأتراك و من قبله من عصر ما يسمى بالانحطاط.

فن الرسالة في الأدب الجزائري الحديث: عندما احتلت فرنسا الجزائر عام 1830م كانت هناك بقية من هذه الأساليب قد انحدرت من عصر الحكم العثماني، كما بقيت آثار من الثقافة العربية

---

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 378.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص378

[3] – ينظر: عبد الله ركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث، ص36.

الإسلامية الأمر الذي لا يمكن معه البحث عن أسلوب جديد بأتم معنى الكلمة، لفن الترسل في النثر الجزائري غير أن هناك رسائل تعطينا صورة عما وصل إليه هذا النثر طوال القرن الماضي من ضعف، و في الوقت نفسه فكرة عن مستواه من حيث الجودة الفنية أو عدمها و من حيث الندرة أو الكثرة، و يمكن التمييز بين اتجاهين في الرسائل من حيث الأسلوب[1]:

الاتجاه الأول هو الذي يبدي فيم الكاتب مشاعره و يعبر عن عواطفه كما تظهر فيه ثقافته و تمكنه من اللغة العربية و استيعابه لمفرداتها و أساليبها، و في الوقت ذاته يدل على تأثر الأديب بطرق القدامى في رسائلهم و خصائصهم الفنية دون أن تذوب شخصيته أو تختفي وراء ركام الألفاظ و العبارات المنمقة. بل إن روح الأديب المنشئ تظهر قوية جلية بالرغم من روح العصر و ضعف الأدب العربي في الجزائر في بداية الاحتلال.

و يمثل هذا الاتجاه (حمدان خوجة)* في رسالة تنسب له، و الواقع أن هذا الكتاب الجزائري اشتهر بالإنتاج في غير الأدب إذ كان يكتب في السياسة و مشاكلها و الأحداث التي عاصرها أثناء احتلال بلاده، و لكنه في هذه الرسالة التي كتبها لشيخه (سيدي علي بن محمد) من لندن حين سافر إليها نلمس جزالة في الأسلوب و هو يعبر له عن اعترافه بالجميل و يظهر وفاءه له و تعلقه به و شوقه إليه. و منذ البداية نلمس التقليد في خصائص هذا اللون من الأدب، فالكاتب يبدأ رسالته بالحمد و الصلاة على الرسول ثم يوجه الخطاب إلى شيخه يمدحه و يشيد بفضله عليه، كما يصف علمه و تدينه و تقاه، و كالعادة في ذلك الوقت فإن العالم أو الأديب يمدح بمدى قدرته على فهم الشريعة و إدراك (الحقيقة) التي هي التبحر في التصوف يقول (حمدان خوجه).

" الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه سلم.سعدتُ إذ سعدت بك الخليقة،واسترت إذ كنت مظهر أنوار الشريعة والحقيقة،وقابلك باليمن دهر ختم بمعاليك كمالاته ،وواجهك سعد السعود إذ توجك أنفس هالاته،فكنت يمين اليمين والبركة،وقدوة السكون والحركة،تتثال لديك طرائف المعارف فتقتبس ،وتنتمي إليك معاقد المعالي فلا ترام ، ولا تختلس

[1] – عبد الله ركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث، ص37.

*– ولد سنة 1773 ودرس القانون ،سافر إلى أوروبا وهو شاب ،كما سافر إلى الشرق الأدنى مما ساعده على تكوين ثقافته وشخصيته السياسية،لعب دورا كبيرا في الحياة السياسية عند بداية الاحتلال ،أدت إلى نفيه إلى باريس ،له مؤلفات أهمها:المرأة.توفي اسطنبول بين1840–1845.

حتى أيقنت الأفاضل بأنك مدار الشرف ،واذعنت الأعادي بسعادة كونك بقية السلف،الأمين على السر المصون،حامل لواء الإمارة من العلم المكنون،تاج الملة الحنيفية ومجدد تاجها، نتيجة الهمم العالية، ومادة نتاجها"[1].

ومن خصائص هذه الرسالة:

1- طغيان السجع من بدايتها إلى نهايتها، واختيار الكاتب للغة والموازنة جمله وتعابيره.

2- أن المدح بالشريعة يقترن ذكره بالحقيقة ،ولكن الكاتب يرى في شيخه مجددا للدين ،حافظا لسره، فهو لا يمدحه بالعلم وحده،ولكن يمدحه بأنه من السلف المجدد للملة الحنيفية.

3- ضرب المثل من حكمة أو موعظة أو أبيات شعرية،وهذه سمة في النثر العربي عامة، حيث يعمد الكاتب إلى الشعر لإظهار البراعة والتأثير في النفس.لذلك نجد حمدان خوجة ينشئ أبياتا يعبر فيها عن شوقه لشيخه،واعترافه بفضله.

4- عناية الكاتب بسائر البديع كالجناس والطباق ،وهذا اللون يحدث اللذة الدبية حين يكون عفويا ،ولكنه لايحقق التأثير المطلوب حين يكون متكلفا.

5- توظيف البيان أحيانا فثبات قدرة الكاتب ومعرفته بالبلاغة العربية،والنص السابق يؤكد ذلك.كما تؤكده هذه الفقرة من الرسالة:

" ...فإن أحسنت بعض الإحسان فإنه لعموم محاسنه،وإن أفصحت عن معنى بديع فإنما هو من نحت معادنه،وإن رجعت إلى الأصل وتبوأت مقاعد الجهل،فلا أقل من رمق يسترد،وشوق يستجد، وهمة تستمد،ومناقب لا تحصى ولا تعد،وهل تستنكر الاستقامة من الزلل،وربما صحت الأجسام بالعلل." ص45 .

وهذا النموذج يمثل الرسالة الأدبية التقليدية التي يعنى فيها صاحبها بالصياغة الفنية،والبيان الناصع والتعبير الجميل،ما يؤكد أن فن الترسل في تلك المرحلة ما زال يحتفظ بقدر غير قليل من جمال الصياغة وطريقة الأداء.

ثانيا: الاتجاه الثاني هو الذي يعمد فيه الكاتب إلى البساطة و الوضوح دون قصد للجمال الأدبي و دون عناية كبيرة بالصياغة بحيث اختفى أسلوب السجع و البديع بشكل ظاهر، و طوعت فيه

[1] - عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص38.

اللغة للتعبير بسهولة و يسر و في بساطة تجعل منها أداة مرنة صالحة لصياغة المعاني الدقيقة و الأفكار العميقة.

و يتضح هذا الأسلوب في رسائل (الأمير عبد القدر) للقائد الفرنسي (بيجو) و لغيره من الحكام الفرنسيين أثناء مفاوضاته معهم طوال الفترة التي حمل فيها لواء المقاومة ضد المستعمرين . فهو في هذه الرسائل قد خطا بالنثر خطوة واسعة قد حرره فيها من الأسلوب و من الركاكة و التكلف و جعل منه وسيلة للتعبير عن الأفكار الحديثة التي غزت الحياة السياسية و الاجتماعية في تلك الفترة، إذ يشرح في رسائله موقفه من السلم و الحرب و ما يتصل بهما من ملابسات و معطيات.

وطريقة الأمير في رسائله أنه يهجم على موضوعه،أحيانا في إيجاز وأحيانا في تفصيل،ولكنه في كلتا الحالتين لا يكثر من المقدمات،وإنما يدخل مباشرة في الموضوع ،ويعبر عن رأيه دون تنميق أو زخرفة في القول،وهذا ما تنم عنه رسالته التي رد بها على الجنرال بيجو حين كتب إليه يعرض عليه الصلح[1]:

" أما بعد،فقد وصلني كتابكم وأحطت به علما،فذكرتم أن دولة فرنسا أمرتكم بإجراء الصلح–إن أمكن–وإلا فاستعمال السيف،مع أن دولة فرنسا عرف أنني أشد الناس رغبة في حصول العافية،وأشدهم بغضا لسفك الدماء بدون موجب شرعي،وإنها لتعلن إنني راغب في عقد الصلح وإقامة دعائمه،على أساس قوي لا يتضعضع، ويشهد لذلك ما خابرتها به على يد سفيرها في طنجة ،فإن ساعدت العناية الإلهية على إجراء هذا الأمر على يدكم ،فهو دليل على صفاء طويتكم لعباد الله تعالى،وصدق خدمتكم للدولة والشعب معا"[2].

من النص تتضح لنا طريق الأمير في كتابة الرسائل، فهو لا يحفل بالسجع ، وإن كان قد قلد القدامى في طريقة البدء، والتأثر بالدين، إلا أنه لا يتأنق غي التعبير، ولا يوغل في البحث عن الألفاظ الغريبة بل يعمد إلى البساطة والوضوح.

---

[1] – عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص41.

[2] – محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، دار اليقظة العربية، دمشق، سوريا، ط2، 1964، ص268.

أما من حيث المضمون، فإن الرسالة تعبر عن جنوح الأمير للسلم ،وكراهيته للحرب لوعيه بخطرها وأثرها، ويحث العدو على أن يسلك طريق العقل .

و إلى جانب هذين الاتجاهين وجد لون من الرسائل في أواخر القرن الماضي لا يرقى إلى أن يكون أدبا أو فنا لا من حيث الأسلوب و لا من حيث الموضوع و لا أيضا من حيث المحتوى، فالأسلوب ضعيف وشخصية الكاتب باهتة، و اللغة عادية متهافتة في أحيان كثيرة، كذلك فإن الموضوعات من نوع ما عرف بالإخوانيات أو الموضوعات الخاصة بأصحابها[1]. ويمثل هذا اللون رسائل (محمد الشاذلي القسنطيني).*

وهذه الرسائل في الواقع لا تدل على تفرد أو أصالة و ليس في أسلوبها ما يدعونا إلى الوقوف عندها فهي لا تسهم لا في المحافظة على صيانة البيان العربي و لا في تطور النثر الجزائري الحديث.

و قد تدهور أسلوب الرسائل بعد ذلك، أي في أواخر القرن الماضي، تدهورا ملحوظا بحيث لا نجد في هذه الفترة إلا نوعا من الرسائل كتبها بعض الجزائريين لا يهدف التعبير عن الذات أو الكشف عما في النفس، و إنما كتبت كقوالب محفوظة جاهزة يكتب على نسقها من وقعت له حادثة و يريد أن ينقلها إلى الإدارة مثلا، فهي رسائل للشكوى و التظلم أو لغير ذلك من الأمور العادية التي تحدث للناس يوميا[2].

أما في ظل الحركة الإصلاحية فقد استعاد هذا الفن كثيرا من أصالته فيما يخص اللغة و العبارة، أما من حيث الأسلوب و الطريقة فالواقع أن الرسائل أصبحت تميل إلى الوضوح و الدخول مباشرة في الموضوع كما يتضح فيما تحت أيدينا من رسائل قليلة مخطوطة مما كان يتبادله العلماء المصلحون في الثلاثينيات من هذا القرن، و أهمية هذا النوع من الرسائل تكمن في الموضوعات و الأفكار و القضايا التي شغلت رجال الحركة الإصلاحية و خاصة تلك التي تدعو إلى النهوض و إلى محاربة الأمية و تهتم بنشر التعليم و إصلاح المجتمع.وللاطلاع على أمثلة

---

[1] – عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص45.

* - عالم وشاعر جزائري ولد سنة 1807 بقسنطينة، عمل بها قاضيا حوالي عشرين عاما، وكان صديقا للأمير عبد القادر، توفي 1877.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص46.

من ذلك راجع : آثار عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، ومذكرات احمد توفيق المدني وغيرهم ، لعلك واجد فيها ضالتك.

على أنه يمكن القول بأن أسلوب الرسائل قد تطور في العصر الحاضر بالرغم من أن النصوص لا تساعد على حكم موضوعي، و إنما من بعض ما عثرنا عليه أدركنا أن الكتاب المعاصرين لا ينشرون رسائلهم و مكاتباتهم و لو نشرت لعثرنا على كنز من الأدب و المشاعر الإنسانية لأن الكتاب فيها يطلقون أنفسهم على سجيتها و يعبرون فيها على آرائهم و أفكارهم و عن قضايا كثيرة بلا حرج أو خوف أو بهرجة.[1]

[1] – عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 47.

المحاضرة العاشرة: فن القصة

أولا- القصة الطويلة (الرواية):

أولا: تعريف القصة

أ- **لغةً** : يطلق الفعل الثلاثي قصَّ في اللغة على عدّة معاني:

1- تتبع الأثر، يقال قصصت أثره (أي تتبعته) والقصص مصدر قال تعالى:﴿ **قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾.الكهف: 64. أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به

2- الإعلام والإخبار: يقال قصَّ عليه ما حدث : أخبره به وأعلمه إياه، وقصّ عليه الرؤيا : أخبره عليه خبره أورده على وجهه، ومنه قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.القصص:.25

3- البيان، ومنه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾.يوسف3.. أي نبين لك أحسن البيان. والقصة: الأمر، والحديث، والجملة من الكلام، والخبر. و القِصَصْ: جمع قصة التي تكتب، والقَصَص بالفتح، رواية الخبر، والخبر المقصوص، والأثر.

اصطلاحا: القصة "حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معًا، وُتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي"[1].

وهي "وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة أو عددًا من الحوادث بينها ترابط سردي ويجب أن تكون لها بداية ونهاية".[2]

أو هي فن أدبي يتناول حادثة أو مجموعة حوادث تتعلق بشخصية أو مجموعة من الشخصيات الإنسانية في بيئة زمانية ومكانية ما، تنتهي إلى غاية أو هدف بُنيت من أجله القصة بأسلوب أدبي ممتع ، كما أنها تجمع بين الحقيقة والخيال".[3]

بعد سرد هذه التعريفات، تتكشف لنا أهم النقاط التي يجب توافرها في أي قِصة أدبية حتى تسمّى بذلك، وهي:

أولا: فن أدبي له قواعده وأهدافه. ثانيًا: حكاية نثرية قد تجمع بين الحقيقة والخيال.

ثالثًا: وسيلة للتعبير عن الحياة. رابعًا: ذات أسلوب ممتع وشائق.

تاريخ الرواية الجزائرية ظهرت القصة الطويلة أو الرواية متأخرة في الأدب الجزائري مقارنة بالأشكال الأدبية الأخرى (المقال الأدبي،القصة القصيرة، المسرحية)، يقول عبد الملك مرتاض:

---

[1] – إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص 739.

[2] – محمد كامل حسن: القرآن والقصة الحديثة، ط1، بيروت دار البحوث العلمية 1971، ص9.

[3] – زايد فهد: أسرار القصة القرآنية، ط1، دار يافا، عمان 2007، ص 11.

من سوء حظ النثر الأدبي في الجزائر، أنه لم يعرف إلا محاولة روائية واحدة هي (غادة أم القرى) لأحمد رضا حوحو، وهي رواية تجاوزت حجم القصة القصيرة. ويتساءل عبد الملك مرتاض " إننا لا ندري ما منع الكتاب الجزائريين باللغة العربية، خلال هذه الفترة من معالجة الأدب الروائي، أيعود ذلك إلى نضوب في الخيال؟ أم إلى عدم وجود دور للنشر؟ أم إلى عدم وجود قراء؟ أم إلى عدم وجود كفاءات أدبية متمكنة؟ أم إلى ذلكم جميعا؟ إن الإجابة بالتحديد صعبة".[1]

تجري حوادث هذه الرواية في الحجاز ويدور موضوعها حول الحجاب، وما ينشأ عنه من كبت، وحول التقاليد البالية وما تسببه للناس من شقاء. فقد أحبت زكية ابن خالتها جميلا، الذي لم يكن يعلم بذلك ولم يكن يفكر فيها أبدا، وإنما كان يحب أختها التي تكبرها بعامين، وهي أسماء، ولم يكن لأمه غيره، في حين أن أباه كان قد قتل في الحرب. وما كان أحد من أسرة الفتاة زكية يعلم بهذا الحب الذي تولد في قلبها منذ الصبا، حين كانت تلاعب ابن خالتها طوال النهار، ذلك بأن جميلا كان يقيم أول الأمر وأمه في دار أبيها بحكم القرابة، وبحكم مقتل أبيه في الحرب.

ويعلل عبد الله ركيبي سبب ذلك بكون ظروف كثيرة أسهمت في جعل من يكتب باللغة القومية مجهولا إلى حد ما، في حين أنها أسهمت في التعريف بمن يكتب باللغة الأجنبية في الجزائر، حتى إن بعض الدارسين للأدب الجزائري الحديث في البلاد العربية حين عرضوا لهذا الأدب درسوا الآثار المكتوبة باللغة الأجنبية ولم يشيروا من قريب أو بعيد إلى من يكتب باللغة القومية[2].

وعن بدايات هذا الشكل الفني من السرد، يقول ركيبي: "أما فيما يتعلق بالرواية العربية الجزائرية، غإن للنقاد عذرهم في عدم الحديث عنها لأنها –كما أسلفت–ظهرت أخيرا، فهي من مواليد السبعينات بالرغم أن هناك بذورا ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة للرواية العربية الجزائرية سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفني، فهناك قصة مطولة بعض الشيء كتبها "أحمد رضا حوحو وسماها غادة أم القرى تعالج وضع المرأة ولكن في البيئة الحجازية، ثم هناك قصة كتبها عبد المجيد الشافعي وأطلق عليها عنوان (الطالب المنكوب) وهي قصة مطولة أيضا رومانسية في أسلوبها وموضوعها، فهي تتحدثعن طالب جزائري

[1] – عبد الملك مرتاض فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص191.

[2] – عبد الله ركيبي: تطور النثر الأدبي الجزائري، ص198.

عاش في تونس في أواخر الأربعينيات أحب فتاة تونسية وسيطر عليه حبها حتى غنه كان يغمى عليه من شدة الحب، ومضمونها ساذج مثل طريقة التعبير فيها"[1].

ثم يسترسل الدكتور ركيبي في تعليل أسباب تأخر هذا الفن في الجزائر ويرجعه إلى:

كون هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل وإلى صبر وأناة، ثم يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به.

أن كتاب الجزائر لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون على منوالها كما كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية الذين وجدوا تراثا غنيا ونماذج جيدة في الأدب الفرنسي.

الرواية الجزائرية بعد الاستقلال

إن البدايات الحقيقة التي يمكن أن تدخل في مفهوم الرواية هي هي التي ظهرت في السبعينات مثل قصة (ما لا تذروه الرياح) لمحمد عرعار، ثم رواية (ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوقة التي كتبت فيما يبدو قبل السابقة ولكنها طبعت بعدها،ثم ظهرت في السنتين الماضيتين روايتان للطاهر وطار وهما على التوالي (الزلزال) ثم (اللاز)[2].

وقد كثر كتاب الرواية الجزائرية بعد الاستقلال ، وتعددت مواضيها واتجاهاتها، واكتسبت طابعا فنيا راقيا، من حيث البنية السردية. وألفت دراسات قيمة حول هذا الفن منها:

مرتاض عبد الملك: القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

وقد تضمن الكتاب المحاور الآتية: المضمون، الشخصية الحيز، المعجم الفني.

تاريخ القصة القصيرة في الثقافة العربية

لقد عرف العرب فنونا قصصية متعددة، أبرز هذه الفنون هو فن المقامة، الذي ظهر على يد بديع الزمان الهمذاني. وقد استمر التأليف في هذا الفن إلى غاية العصر الحديث، ولما أتيح للأدباء الناشئين الاطلاع على الآداب الأوروبية، تأثروا بها، وكانت القصة القصيرة من جملة الفنون التي استهوتهم، فراحوا أول الأمر يقلدونها متأثرين بأساليب المقامة، التي تتميز باحتفائها بمختلف أساليب الزخرفة من بيان وبديع، مثل ما فعل محمد المويلحي في: حديث عيسى بن هشام. وحافظ إبراهيم في: ليالي سطيح. ثم ما لبثوا أن تبنوا القصة القصيرة أداة للتعبير، وهجروا

[1] – عبد الله ركيبي: تطور النثر الأدبي الجزائري، ص199–200.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص201.

المقامة، بعد أن تبينوا أنها لا تفي بحاجاتهم إلى التعبير، لأنها وضعت أداة لتعليم اللغة الفصيحة والأساليب المهذبة. وقد يعتبر الأخوان محمد ومحمود تيمور رواد القصة القصيرة، ولهما الفضل في وضع أسسها، وتحديد معالمها في الأدب العربي الحديث متأثرين بالكاتب لفرنسي: جي دي موباسان[1](1850-1893) فألفا:(الشيخ جمعة وقصص أخرى). وقد نحا نحوهما كثير من الكتاب مشرقا ومغربا مثل:يوسف إدريس، يحي حقي، نجيب محفوظ، طه حسين ، المازني، ومحمد حسين هيكل،...

أما في الجزائر فقد نشأت القصة القصيرة متأخرة مقارنة بالعالم العربي، ويرجع ذلك إلى ظروف عرفتها الجزائر دون غيرها من أقطار العالم العربي.

مفهوم القصة القصيرة: اختلف النقاد في تعريفها بين رافض للتعريف لأنها من الأدب، والأدب لا يخضع لحدود أو قوانين كالعلم، ذلك أن التقنين يحد من انطلاقه وحيويته.

على أن البعض حاول تعريف القصة عامة والقصة القصيرة خاصة، كما فرقوا بين الرواية والقصة والقصة القصيرة على أساس الحجم.

وإذا كان تعريف القصة القصيرة صعب المنال فإن تتبع سماتها ومميزاتها عن بقية الأنواع القصصية والأدبية الأخرى يحدد مفهومها.

وأول هذه السمات أن القصة القصيرة تعبر عن موقف معين في حياة الفرد أو جانب من هذه الحياة، أو بعض الجوانب، ولا تعبر عن حياة الفرد كاملة.

إذن فهي رؤية فكرية وفنية لجانب من الحياة.

نشأة القصة القصيرة الجزائرية

ترى الكاتبة عايدة أديب بامية أنه من الضروري "من أجل دراسة القصة القصيرة ، أن نعود إلى فترة ما بين الحربين العالميتين، لنتعرف على الدور الذي لعبته جمعية العلماء وصحافتها في

[1] – القصة القصيرة في أروبا تطورت واكتملت سماها على يد ثلاثة من كبا الكتاب هم: إدجار ألان بو (1809-1849) في أمريكا. جي دي موباسان (1850-1893) فس فرنسا. أنطوان تشيكوف (1860-1904) في روسيا. ينظر: عبد الله ركيبي: تطور النثر الأدبي الجزائري، ص171.

تطورها وتقدم النثر العربي بصفة عامة ... وعلى هذا أساس هذه الخلفية يجب دراسة القصة القصيرة العربية ، لأنها ولدت على صفحات صحافة جمعية العلماء "[1].

بينما يقول عبد الله ركيبي: " نشأت القصة القصيرة الجزائرية متأخرة عن القصة في المشرق العربي لظروف تتصل بالثقافة العربية وبالأدباء أنفسهم و بثقافتهم الخاصة و تكوينهم الفكري الذي ارتبط بالتراث ارتباطا كليا منذ البدايات الأولى للنهضة الأدبية في الجزائر وارتباط الأدب بالحركة الإصلاحية، بدعوتها و مبادئها و أهدافها و هي في مجملها تستند إلى الدين و الإصلاح، و تتسم بالمحافظة في النظرة والرؤية، ومن ثم فإن الأدباء الذين اعتنقوا هذه الفكرة حصروا أنفسهم في نطاق ضيق لم يستطيعوا الخروج عنه، و بالتالي لم يحاولوا أن يجربوا في مجال الفنون الأدبية الجديدة مثل القصة القصيرة"[2]. وقد تأخر ظهور القصة لأسباب كثيرة نوجزها على النحو التالي:

ا-الاستعمار الذي وضع الثقافة القومية في وضع شل فاعليتها و حركتها مما نتج عنه تأخر الأدب الجزائري عامة، و لاسيما أحدث فنونه و هي القصة القصيرة، و قد كان اضطهاد اللغة العربية و محاولة القضاء عليها من طرف الاستعمار الفرنسي عاملا أساسيا في تخلف الأدب و تأخر القصة، فقد جاء رد الفعل من محاولات الحفاظ عليها كلغة البلاد القومية، لغة الثقافة و العلم و الدين، محاولات نعلم جميعا مدى ما استلزمت من تضحيات وجهود شاقة مريرة، و لكنها لم تضع في حسابها ضرورة تطويرها و جعلها لغة صالحة للأدب و أداة مرنة طيعة له[3].

ب- التقاليد و أبرزها ما يتعلق بوضع المرأة في المجتمع إذ كانت منغلقة لا يسمح لها بالاختلاط أو المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية، ولهذا كان من الصعب أن تعالج القصة علاقة الرجل بالمرأة أو أن تتعرض إلى هذا الموضوع[4].

ج- ضعف النقد وعدم وجود الناقد الدارس الموجه، وضعف النشر وانعدام وسائل التشجيع الكافية للأديب القاص كي يكتب و ينتج ويجرب، ولا ننسى عدم وجود المتلقي لهذا الإنتاج لو صدر، و

---

[1] - عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1965، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص303.

[2] - عبد الله ركيبي: تطور النثر الأدبي الجزائري، ص162.

[3] - المرجع نفسه، ص163.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص164.

كيف يوجد في ظل الأمية التي فرضتها سلطات الاستعمار الفرنسي على شعب الجزائر كي يظل متخلفا[1].

تطور القصة القصيرة في الجزائر

يمكن حصر العوامل التي أدت إلى تطور القصة القصيرة الفنية في الجزائر في أربعة نقاط:

1 – اليقظة الفكرية

من أهم الأسباب التي أثرت في تطور القصة القصيرة في الجزائر هي اليقظة الفكرية التي صاحبت اليقظة السياسية عقب الحرب العالمية الثانية و انتفاضة (ماي) سنة 1945. فهذه اليقظة كانت تعبيرا عن موقف حضاري أحس فيه الشعب الجزائري إحساسا عنيفا بشخصيته و قوميته و عروبته و ماضيه، فظهرت القصة القصيرة التاريخية التي تلح على مقومات الشخصية الجزائرية، رغم أن إنتاجها كان نزرا يسيرا.

وقد جاءت هذه اليقظة نتيجة تحرر الشعوب عامة ونتيجة مشاركة الشعب الجزائري في الحرب خاصة. هذه الحرب التي كانت نهايتها قتل الجزائريين بالجملة في مظاهرات (ماي) الصاخبة التي قوبلت من جانب الاستعمار بالقمع و التنكيل[2]

2 – البعثات الثقافية للمشرق العربي

اتسع نطاق هذه البعثات بصورة أكثر عن ذي قبل ، و توثق الاتصال بالأقطار العربية التي فتحت صدرها للجزائريين ليدرسوا في مدارسها و جامعاتها، فاتصلوا بالثقافة العربية في منابعها، وبالثقافة الأجنبية في ترجماتها، و اطلعوا على نماذج من القصة القصيرة العربية التي كانت قد بلغت درجة من الجودة والإتقان، ووجدوا في هذه البيئات تفتحا أكثر[3].

3 – الحافز الفني لكتابة القصة

بدأ الأدباء في محاولات جادة لكتابة القصة القصيرة – في أواخر الأربعينات و أوائل الخمسينات وهي الفترة التي بدأ فيها التطور القوي لها – و لكن هذه المحاولة تعددت حوافزها فهناك من كتب بدافع ملء الفراغ و الشعور بأن الأدب الجزائري قد خلا من القصة القصيرة إلى

---

[1]. -- ينظر: المرجع السابق، ص 164-165.

[2] – عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص153.

[3] – المرجع نفسه، ص154.

حد التصريح بذلك. و هناك من كتب القصة للتجربة أو بدافع الحماس بسبب الثورة، فأراد أن يسجل أحداثها أو يصور بعض أبطاله، ولكن هناك من كتب القصة بدافع فني. بدافع أدبي يحقق فيه ذاته وجوده. و هذا النوع هو الذي استطاع أن يساهم في تطور القصة القصيرة الجزائرية و أن يوصل التجربة في هذا المجال[1].

4 – الثورة

لا شك أن الثورة فتحت مجالا أكثر لكُتّاب القصة القصيرة ، فغيرت كثيرا من نظرتهم إلى الواقع . فبعد أن كان الحديث عن الواقع لا يعدو أن يكون تسجيلا له، أصبح التعبير عن هذا الواقع و تصويره هو هدف كتّاب القصة القصيرة. فظروف النضال كشفت للكتاب عن إمكانيات ضخمة و تجارب جديدة دفعتهم للبحث عن جديد، سواء أكان ذلك في الموضوع أو في المضمون أو في الشكل[2].

و ظهرت موضوعات جديدة تتحدث عن الاغتراب و عن الهجرة، وعن الحرب و الثورة وآثارهما. تصف الجبل و تدين الاستعمار، و تصور مشاركة المرأة في الثورة و النضال ... ومن هنا ظهر في القصة البطل الإنسان الذي يخاف و يتغلب على خوفه، و اختفى البطل الفريد الخارق للعادة[3].

و عموما يمكن القول بأن كتاب القصة القصيرة الفنية – أو بعضهم على الأقل – في هذه المرحلة عنوا بهيكل القصة و بنائها، الأمر الذي يوضح وعيهم بفن كتابتها.

وهذا لا يعني أن القصة القصيرة قد توفرت فيها كل الخصائص أو السمات الفنية، وإنما يعني أنها خطت خطوة جديدة في تطورها، واقتربت كثيرا من النضج، لكن الباحث في هذا المجال لا يعدم قصص أخرى ساذجة لم ترق إلى مستوى القصة الفنية[4].

البدايات الأولى للقصة الجزائرية القصيرة

---

[1] – ينظر: لمرجع السابق، ص156-157.

[2] – المرجع نفسه، ص159.

[3] – المرجع نفسه، ن ص.

[4] – المرجع نفسه، ص161.

1- من المحاولات الأولى محاولة محمد بن عبد الرحمالن الديسي في قصته (المناظرة بين العلم والجهل) سنة 1908.هيأ فيها شخصيتين الأولى تنطق بلسان العلم والثانية تنطق بلسان الجهل، وألحق بهما شخصية ثالثة تنطق بلسان العدل في الفصل بين الخصمينن في حضور جمهور من الفضوليين[1].

2- وكان محمد بن العابد الجلالي (1890 -1967) من مواليد أولاد جلال بسكرة، من المبكرين في كتابة هذا النوع الأدبي ومن محاولاته في ذلك: (السعادة البتراء) التي نشرها في ركن (معرض آراء وأفكار) بمجلة الشهاب، باسمه المستعار (رشيد)[2] سنة 1935،. وله محاولة أخرى بعنوان (على صوت البدال)، الشهاب جانفي 1937) (الصائد في الفخ،) (أعني على الهدم أعنك على البناء). وهذه المحاولات هي مزيج من مقالة قصصية وحكاية، وهو يكتب من رؤية إصلاحية دون أن يعطي اعتبارا للحدث أو للشخصيات مما يعني جهله بفن القصة الحديثة[3].

3- محمد السعيد الزاهري (1897-1956) في مقالاته القصصية التي نشرها في الشهاب، وهي مطبوعة في كتيب بعنوان: الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير. تصدى فيها للفكر التنصيري التبشيري.

4- أحمد رضا حوحو من مواليد استشهد سنة 1956. وله مجموعات قصصية (صاحبة الوحي)ن (ماذج بشرية)، (حمار الحكيم)، ورواية (غادة أم القرى).

البدايات الفنية للقصة الجزائرية القصيرة

إن أحداث الثامن ماي 1945 كان أثرها واضحا في صياغة ذهنية جديدة لدى الفنان الجزائري، فقد تحركت همم الكتاب وتفتقت قرائحهم برؤى جديدة كشفت عن قالب أكثر تصورا وأشد قوة في القصة القصيرة التي كان الشكل فيها – حتى هذه الفترة تتجاذبه سمات تعبيرية عديدة (مزيج بين الحكاية والمقالة القصصية، أو مقالة قصصية وإصلاحية دينية وعظية، أو سيرة ذاتية في قالب حكاية)[4].

---

[1] – عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ص164.

[2] – المرجع نفسه، ص166.

[3] – المرجع نفسه، ص169.

[4] – المرجع نفسه، ص177.

بدا هذا واضحا عند أحمد رضا حوحو بعد ما استفاد من تجربته السابقة،(راجع مقدمته ل:صاحبة الوحي سنة 1954. ولنماذج بشرية سنة 1955.

كما عبر عن ذلك أبو القاسم سعد الله في جريدة البصائر في 21-05-1954 في مقدمة لقصته (سعفة خضراء)

موضوعا ت القصة الجزائرية القصيرة

عالج القصاصون الجزائريون كثيرا من الموضوعات فيما بعد الحرب العالمية الثانية، ةأهمها:[1]

1- موضوعات عاطفية: أبرز من عالجوا هذا الموضوع رضا حوحو في أقاصيصه: (صاحبة الوحي، فتاة أحلامي، خولة).

2- موضوعات اجتماعية: من الذين ذهبوا هذا المذهب أحمد بن عاشور في أقصوصته (تضحية) بنى حوادثها على الحب والعاطفة ولكنه عالج فيها السحر والشعوذة التي كانت تشيع في المجتمع الجزائري. وكذلك قصة ابن عاشور عنوانها (زواج عصري).

3- موضوعات نفسية: مثل أقصوصة (سعفة خضراء) لأبي القاسم سعد الله عالج فيها موضوعا نفسيا بحتا.

4- موضوعات أخلاقية: يذكر مرتاض أقصوصتين رمز صاحبهما لاسمه بالمحبوب دون أن يصرح به إحداهما: (زليخة والعفة تتذمران من الحَمَامات البحرية الماجنة) ومنطوق هذا العنوان يوحي بالمدلول لمقصود وهو الحث على الأخلاق، ومحاربة الرذيلة بطريقة وعظية خطابية معا.

5-موضوعات وطنية إصلاحية: عالج محمد الصالح رمضان موضوعا وطنيا إصلاحيا استوحاه من المقالات الإصلاحية التي كانت تكتب في البصائر الأولى والثانية، في أقصوصة (القافلة) كما كتب محمد السعيد الزاهري في موضوعات وطنية إصلاحية (عائشة).

[1] - عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954، ص175.

المحاضرة الحادية عشر: فن المسرحية

الأصول التاريخية للمسرح الجزائري

لم تعرف الجزائر المسرح مثلها مثل البلدان العربية الأخرى بالمفهوم الحديث أي باعتباره أدبا وفنا له أصوله إلا في مطلع القرن العشرين. يقول أحمد توفيق المدني: "لعل قطر الجزائر– بعد جزيرة العرب–هو القطر الإسلامي الوحيد الذي لم يدرك بعد أهمية التمثيل وينشأ به المسرح العربي، ولم يشعر شعبه حتى الساعة بوجود ذلك النقص العظيم فيه".[1]

لكن هذا لا ينفي وجود أشكال مسرحية بدائية، إضافة إلى محاولة جادة في الجزائر، خلال القرن التاسع عشر، متمثلة في مسرحية (نزهة المشتاق وغصة العشاق في مدينة ترياق بالعراق) لصاحبها إبراهيم دانينوس* وذلك سنة 1835.

أما بالنسبة للأشكال المسرحية البدائية أو العفوية، التي تشكل الأرضية التي قام عليها المسرح الجزائري، فهي متعددة منها:

1– مسرح الكراكوز (القراقوز) وخيال الظل ويعرف كذالك بالمسرح الصيني، عرفته الجزائر مع دخول العثمانيين، خاصة وأنهم حملوا بعد استقرارهم بالجزائر عاداتهم وآدابهم وفنونهم بما في ذلك هذا النوع من المسرح الذي كانت عروضه تقدم خلال شهر رمضان خاصة، وقد استمرت هذه العروض حتى القرن التاسع عشر كما أشار إلى ذلك العديد من الرحالة منهم (بوكلير ميسكاو Puklr Muskau الذي شاهد حسب أرليت روت* عروض المسرح بالجزائر العاصمة سنة 1835 والتي استمرت حتى منعها من طرف الاستعمار الذي اعتبرها عاملا محرضا على الثورة[2].

2–الأشكال التمثيلية التي يزخر بها التراث الجزائري والتي مهدت لظهور الممثل وولادة المسرح الحقيقي والمتمثلة في الاحتفالات الدينية ولاجتماعية، والحركات الخارقة لعيساوة، والطواف والوقوف عند مقابر الأولياء، والاحتفالات المرتبطة بيوم عاشوراء التي كانت تشتمل على عدة

---

[1] – أحم دتوفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص366.

* – يهودي جزائري (1789–1872) التحق بخدمة الجيش الفرنسي كمترجم إبان الحملة الفرنسية على الجزائريسنة1830.

* – أرليت روث باحثة أجنبية لها كتاب (المسرح الجزائري) مطبعة فرانسوا ماسبيرو، مارس 1967.

[2] – ينظر: عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص214.

عروض تمثيلية[1]. إضافة إلى ذلك نجد المداح الذي كان يجوب الأسواق، والراوية والحلقة، ثم الاحتفالات المرتبطة بالمناسبات الفصلية الفلاحية التي كانت تقام على طول كالتويزة و الأم تانونجا*

عوامل ظهور الفن المسرحي في الجزائر

تطور الفن المسرحي في الجزائر لجملة من الأسباب أهما زيارة:

1- فرقة القرداحي: زارت هذه الفرقة كلا من تونس والجزائر سنة 1918، وحققت نجاحا باهرا إذ استطاعت استقطاب جمهور لا بأس به تتبع عروض الفرقة باهتمام بالغ.

2- فرقة التمثيل المصري لجورج أبيض: قام الفنان المصري جورج أبيض بجولة عبر البلاد العربية مع فرقته، فزار ليبيا وتونس ثم الجزائر سنة 1921، وقدم عدة عروض مسرحية بقاعة المسرح الجديد بالجزائر العاصمة، هي (ثارات العرب، وصلاح الدين الأيوبي). وامتد نشاط الفرقة ليشمل تلمسان وقسنطينة حيث قدم عروضا مماثلة. وحظيت هذه الزيارة باهتمام كبير من قبل الدارسين للشأن المسرحي، نظرا للتأثير الذي تركته على المسرح الجزائري، يقول مرتاض: "فقد أيقظت هذه الزيارة المستنيرين من الشعب الجزائري، وجعلتهم يشعرون بأهمية المسرح ورسالته، فحاولوا تأسيس بعض الفرق المسرحية التي قدمت بعض التمثيليات،..والدليل على أهمية هذه الزيارة أن الجزائر لم تعرف قبلها أي فرقة مسرحية رسمية"[2].

3- فرقة عز الدين المصرية التي زارت الجزائر سنة 1921 "وقدمت بعض العروض المسرحية مصحوبة بمجموعة من الأغاني والمواويل الشرقية التي كان يؤديها سلامة حجازي، وقد لاقت هذه الزيارة نجاحا كبيرا وأقبل الجزائريون على متابعة عروضها لإعجابهم بأغاني سلامة حجازي التي كانوا يعرفونها جيدا عن طريق الأسطوانات، التي كانت متداولة آنذاك"[3].

---

[1] – أرليت روث: المسرح الجزائري، نقلا عن (بن داود أحمد دور المسرح في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي (1926-1954) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2008-2009، ص5.

* – عبارة عن دمية تحملها البنات إبان موسم الجفاف وتطفن بها وترددن بعض الأغاني لطلب لغيث.

[2] – عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص200.

[3] – ابن داود أحمد دور المسرح في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي (1926-1954) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2009/2008، ص9.

4-متطلبات حفلات المدارس العربية:لم تتكاثر المدارس الحرة إلا بعد تأسيس جمعية العلماء سنة 1931، وزاد انتشارها بعد الحرب العالمية الثانية،" فكان مدير كل مدرسة ابتدائية أو أحد معلميها المستنيرين يكتب مسرحية، ليمثلها التلاميذ إما بمناسبة انتهاء السنة الدراسية، وإما بمناسبة عيد المولد النبوي، ولكن المناسبة الثانية هي التي ظهرت فيها معظم المسرحيات الدينية التي لايمكن أن يحصرها باحث، لنها كانت تكتب، ثم تمثل، ثم تهمل وتنسى دون أن يحتفظ كتابها بنصوصها"[1].

بناء على المؤثرات السابقة وغيرها، تأسست أول فرقة مسرحية في الجزائر سنة1921 تحت اسم (جمعية الآداب والتمثيل المسرحي) التي استطاعت خلال ثلاث سنوات أن تقدم ثلاث مسرحيات من تأليف رئيسها (علي شريف طاهر) من بينها مسرحية (خديعة الغرام). وكانت هذه المسرحيات تعالج موضوعات اجتماعية غالبا كمشكلة الإدمان على الخمر وما ينشأ عنها من مضار[2].

ولعل أول مسرحية فهمها الشعب الجزائري وتذوقها ، كانت مسرحية (جحا) التي مثلت في أبريل 1926 وقد ألفها (علالو ودحمون)، وأعيد عرضها عدة مرات وربما كان ذلك دليلا على نجاحها[3].

ولم يلبث الفن المسرحي الشعبي أن انتقل في سنة 1926 إلى رشيد القسنطيني ومحي الدين باش تارزي، ويمتاز الأول بكونه كان يؤثر التأليف المبتكر المحض، في حين أن الثاني لم يكن يؤلف، وإنما كان يقتبس من الآثار العالمية. ويعتبر رشيد القسنطيني رائد المسرح الشعبي في الجزائر بلا منازع، وكان موهوبا في فن الإضحاك، أو فن الهزل.

ثم ما إن حلت الأربعينيات من القرن العشرين حتى اتسع نطاق المسرح وأصبحت المدن الجزائرية تعرف الفن المسرحي وتتذوقه، مثل الجزائر، قسنطينة عنابة وتلمسان.

وأهم المسرحيات التي كتبت في هذه الفترة التي تقارب ربع قرن (مضار الخمر والحشيش) لمحمد العابد الجيلالي و(شبان اليوم والواجب) لمحي الدين باش تارزي، و (طارق بن زياد) لمحمد صالح بن عتيق، وسبع عشرة مسرحية لأحمد رضا حوحو منها: (صنيعة البرامكة، وبائعة

---

[1] – عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص200.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 198.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص198.

الورد، وأدباء المظهر، والأستاذ، والبخلاء الثلاثة). ثم (امرأة الأب، والآمر بأحكام الله) لأحمد بن دياب. و (زينب الفتاة) لعبد الرحمان إبراهيم بن العقون، و(المولد النبوي) لعبد الرحمان الجيلالي، و(الناشئة المهاجرة، والخنساء)لمحمد الصالح رمضان، و(حنبعل) لأحمد توفيق المدني، و(بلال بن رباح) لمحمد العيد آل خليفة. و(يوغورطة) لعبد الرحمان ماضوي. وهذا لا يعنى أننا ذكرنا كل ما كتب في تلك الفترة[1]....

اتجاهات الفن المسرحي في الجزائر

يمكن تميز ثلاة اتجاهات في المسرح الجزائري الحديث من حيث الموضوعات التي تم تناولها:

1- **اتجاه تاريخي:** تناول موضوعات تاريخية لربط الأجيال بالماضي وتذكيرها بتاريخها والإلمام ببطولات الأجداد. يقول عبد الله ركيبي: "كان متوقعا أن تظهر مسرحيات تاريخية كثيرة أثناء هذه العقود التي نشأت فيها الحركة الإصلاحية، وامتدت حتى قيام ثورة نوفمبر 1954"[2]. وأهم المسرحيات في هذا الاتجاه:

أ- مسرحية (بلال بن رباح) لمحمد العيد آل خليفة التي"اعتبرها النقاد اول نواة شعرية استلهم فيها التاريخ العربي الإسلامي وحاول أن يجسد موقف الصحابي المشهور بلال بن رباح الذي تحمل في سبيل العقيدة ما لم يتحمله سوى القليل من المؤمنين، بالإضافة إلى الأسلوب الذي كتبت به وهو أسلوب شاعري يراعي فيه محمد العيد اختلاف الشخصيات وتنوعها، ويركز فيه على المعاني التي ترمز إليها مواقف بلال من جلاديه ومضطهديه ليدعو من خلال ذلك الشعب الجزائري إلى اقتفاء أثر الأسلاف ومقاومة المستعمرين بالصبر والنضال من أجل الوكن والعقيدة"[3].

ب- مسرحية (حنبعل) لأحمد توفيق المدني، التي وجدت إقبالا كبيرا حين طبعت وحين مثلت لأنها تعرض لفترة تاريخية امتازت بصراع بين القرطاجيين وهم سكان تونس في القديم، وبين روما التي كانت تمثل إحدى القوتين الكبريين في التاريخ قبل الإسلام[4]. ومسرحية يوغورطة لبعد

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص202.

[2] - عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص220-221.

[3] - المرجع نفسه، ص 220.

[4] - المرجع نفسه، ص221.

الرحمان ماضوي التي يذكر صاحبها أنه ألفها قبل الثورة وأن نشرها بعد الاستقلال لا يقلل من قيمتها لأنها تتحدث عن كفاح الشعب الجزائري في تاريخه القديم لما صارع الرومان ولم يخضع للاحتلال الأجنبي كما هو شأنه في تاريخه الحديث، فهو يسقط على الواقع الذي كتبت فيه هذه المسرحية قبل الثورة[1].

ج-عنبسة لرضا حوحو التي اعتمد فيها على خياله دون أن يكلف نفسه مشقة قراءة تاريخية عميقة للحوادث الهامة التي عرفتها الأندلس خلال ثمانية قرون من الوجود العربي فيها، وحودث التاريخ المتعلقة بعصر عنبسة بوجه خاص، فهو صور الفترة الزمنية التي كان يعيش فيها عنبسة منحطة، مع أنها كانت مزدهرة قوية حيث استطاع عنبسة أن يقوم ببعض الغزوات[2].

د- مسرحية (الخنساء) لمحمد الصالح رمضان كتبها بتلمسان، ومثلت أول مرة بدار الحديث التي كان المؤلف مديرا لها وقد مثلها تلاميذ المدرسة بمناسبة المولد النبوي، وهي مسرحية تاريخية مقتبسة من التاريخ الإسلامي، يجري الفصل الأول في سوق عكاظ، والثاني بمكة المكرمة والثالث (الأخير) بالمدينة بمحضر عمر بن الخطاب...[3]

2- اتجاه اجتماعي عالج موضوعات اجتماعية عني فيه أصحابه بنقد المجتمع وتقاليده وعاداته "ولعل هذا الاتجاه كان غالبا في المسرحيات التي مثلت بالمسرح أو في الإذاعة بالرغم من أنها نصوص قليلة، وأن معظمها كتب بلهجة عربية دارجة، تهدف في معظم الأحيان إلى إصلاح المجتمع وتدعو إلى التحرر من سيطرة الماضي وسحره، والتخلص من رواسبه، كما أنها تهاجم المساويء التي غزت البيئة الجزائرية بسبب الاستعمار وأفكاره التي حاول أن يغرسها في هذه البيئة[4]. من ذلك:

أ- مسرحيه (امرأة الأب) لأحمد بن دياب القنطري، وهو موضوع قديم عالجه الكتاب في بيئات مختلفة.

ب- مضار الخمر والحشيش لمحمد العابد الجيلالي.

---

[1] - المرجع السابق، ص226.

[2] - عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص216-217.

[3] - المرجع نفسه، ص 220.

[4] - المرجع نفسه، ص230.

3- موضوعات دينية: لربط الأجيال بعقيدتها ووأخذ الأسوة الحسنة، والقيم والأخلاق...من ذلك (طارق بن زياد) لمحمد الصالح بن عتيق.والخنساء لمحمد الصالح رمضان.والمولد النبوي لعبد الرحمان الجيلالي. والناشئة المهاجرة لمحمد الصالح رمضان.

4- موضوعات أدبية: تعلقت بالمشاكل التي تساور الأديب والعيوب التي تقع في احتراف الأدب، من ذلك: أدباء المظهر، والأستاذ لأحمد رضا حوحو.

المحاضرة الثانية عشر: النص النثري الجزائري المكتوب بالفرنسية

لا يخفى على أحد عمل الاستعمار منذ 1830 على طمس الهوية الجزائرية العربية الإسلامية، مستعملا كل الوسائل من ظلم ودمار لإطفاء جذوة كل انتفاضة سلمية أو ثورية، وتفنن في ابتكار الوسائل لمحاربة اللغة العربية، فعمل على تكوين نخب علمية وأدبية مفرنسة لإضفاء الشرعية على وجوده وتبرير ذلك تاريخيا ومن أمثلة ذلك قول أحد الاندماجيين:"أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر، وفتش عنها في الحالة الحاضرة، فلم يعثر لها على خبر، وأخير أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح: فرنسا هي أنا"[1].

إن الظروف التي فرضتها فرنسا الاستعمارية والمتمثلة في محاربة اللغة العربية بموجب القوة والقانون، وفي مقابل ذلك فرض اللغة الفرنسية، هذا الأمر دفع الكثير من الجزائريين إلى دراسة اللغة الفرنسية والعب من ثقافتها لدرجة إتقانها وممارسة الكتابة الفنية بواسطتها، فأدى ذلك إلى ازدواج في اللغة والأدب والثقافة وظهور أدب جزائري مكتوب بالفرنسية أثار الكثير من التساؤلات حول هويته هل هو أدب جزائري فرنسي الهوية؟ أم أنه أدب جزائري استعمل اللغة الفرنسية أداة للتعبير؟ وهذا الإشكال جعل بعض الأدباء الجزائريين يشعرون بالغربة حين يكتبون باللغة الفرنسية التي رأوا أن الظروف فرضتها عليهم، فجاء أدبهم يفيض بالمرارة والإحساس بالألم. لأن اللغة " إلى جانب كونها وسيلة للتعبير فهي تعكس روح الشعب وروح الحضارة التي ينتمي إليها الفرد والأمة وهي بهذا تمثل جزءا من التفكير"[2]. وقد عبر عن هذه المأساة أكثر من كاتب، واعترفوا أنهم غرباء منفيون في لغة أجنبية. وزاد من إحساسهم بهذه الغربة أنهم يكتبون لجمهور غير مواطنيهم فقراؤهم خارج بلادهم وهذا بسبب انتشار الأمية في وطنهم فهم من هذه الناحية يتامى محرومون[3] يقول مالك حداد لميشال أوديزيو "إن اللغة الفرنسية هي منفاي"، أما محمد الديب فيرى أن اللغة والثقافة الفرنسية سلاح من أسلحة المنازلة مع العدو وأنه " يسخر كل قواه الفنية للوقوف في خدمة

---

[1]– أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص241.

[2]– عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص241.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص242.

إخوانه المظلومين، بحيث تكون الثقافة سلاحا من أسلحة المعركة وكان همه الكبير هو أن يضم صوته إلى صوت الجموع منذ أول قصة كتبها"[1].

الأدب الفرنسي في الجزائر

أ- جيل شباب البحر الأبيض المتوسط

بما أن الاحتلال الفرنسي للجزئر كان استيطانا سياسيا وثقافيا وفكريا، فقد كان الفرنسيون يعملون على أن تنطق شمال إفريقيا باللاتينية و تحمس لهذه الفكرة أدباء فرنسيون، ثم مع بداية الثلاثينات كانت الفكرة هي صناعة إفريقيا على المنوال المتوسطي ، وقد ظهر جيل من الأدباء في تلك السنوات عرفوا باسم شباب البحر المتوسط، كان أغلبهم من الفرنسيين[2].

ولأكثر من قرن كان الكتاب الوحيدون الذين يكتبون باللغة الفرنسية في الجزائر من أصل أوروبي، وقد كانوا أبواقا للاستعمار يمجدونه وهم عبارة عن سياح فروا من باريس إلى أرض الشمس والبحر منهم: روبرت روبرت راندو، فردناند دوشين، شارل كورتن، غي دي موباسان، لويس برتراند. اهتم هؤلاء الكتاب بتصوير جمال طبيعة الجزائر، فهي عندهم جنان مهجورة ببحرها الهادئ وسمائها الزرقاء الصافية، فجاءت هذه الصور الطبيعية ألواحا فنية وائعة الجمال[3]. ويضاف إليهم مجموعة من الأدباء السياح منهم: أندري جيد، هنري دي منترلان، الذين اهتموا بالجانب الطبيعي للبلاد الذي أسروا به ولكنهم أهملوا وجود الاستعمار وواقع الشعب الجازائري وأعطوا صورة خاطئة عن الجزائرن وكانت كتاباتهم عنصرية صرفة تتغنى بفضائل الرجل الأروبي[4].

ب – مدرسة الجزائر

تميزت من الناحية الأدبية بالبعد عن وصف العادات والتقاليد وحياة القرى والأرياف والمدن الداخلية إلى التركيز على الشمس والبحر والحياة في المدن الساحلية، ويعد ألبير كامو من أبرز

---

[1]- ينظر: سعاد خضر، الأدب الجزائري الحديث، منشورات المكتبة العصية، بيروت، لبنان، 1967، ص85 وما بعدها.

[2]- ينظر: محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996 ، ص 104

[3]- سعاد خضر، الأدب الجزائري الحديث، 92

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

مؤسسي هذه المدرسة كما يتجلى في أعماله: (أعراس: 1938)، (الغريب:1942)، (الطاعون: 1947)[1].

البدايات الأولى للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

يعود ظهور أول نص أدبي باللغة الفرنسية ظهر في الجزائر حسب المؤرخ الفرنسي (جون ديجو) إلى سنة 1890. وهو عبارة عن قصة بعنوان (انتقام الشيخ) لصاحبها محمد رحال، وقد اقتبس موضوعها من التقاليد الاجتماعية الجزائرية، نشرت هذه القصة بالمجلة الجزائرية التونسية الأدبية والفنية.[2] "ويتخذ هذا الكاتب سنة 1920 الانطلاقة الحقيقية للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، ويعد مؤلف "القايد بن الشريف" الموسوم ب "أحمد بن مصطفى القومي"بداية تلك الانطلاقة"[3].

هذا وقد ظهرت أعمال أدبية جزائرية في الفترة الممتدة بين 1920-1930، منها: "مجموعة سالم الفتى الشعرية والسيرة الذاتية للقايد بن شريف ويضاف إليهما رواية (زهرة امرأة عامل المنجمي) لعبد القادر حاج حمو التي صدرت سنة 1925، ورواية (مأمون لشكري خوجة التي صدرت سنة 1928، ورواية (العلج أسير بربروس) سنة 1929"[4].

غير أن البداية الحقيقية لهذا الأدب كانت في الربع الأول من القرن العشرين، حيث ألف الكتاب قصصا ونظموا قصائد تحمل الطابع الجزائري. وقد عبر الكثير منهم عن غربة التعبير باللغة الفرنسية، فالبعض يعتبرهم أدباء فرنسيين من أصل جزائري والبعض الآخر يعتبرهم أدباء جزائريين بتعبير فرنسي "وقد جسد هؤلاء ضياعهم في أبطال رواياتهم، وقد واجه الكثير منهم صعوبات في نشر أعمالهم، فلم يستطيعوا الوصول إلى الشعب، فظلوا محرومين من قرائهم الأصليين الذين يمثلون قلب الشعب بسبب حاجز اللغة الفرنسية.

هوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

---

[1]- ينظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 144.

[2]- ينظر: الحاج لونيس بلخياطي: الاتجاه الواقعي في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تلمسان، الجزائر، 2016-2017، ص 39.

[3]- الحاج لونيس بلخياطي: الاتجاه الواقعي في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، ص40

[4]- المرجع نفسه، ص41.

واستمر الجدل حول هوية هذا الأدب فاعتبره عبد اللطيف اللعبي رسالة مفتوحة إلى الغرب تحمل إليه الرفض والشهادة الوطنية وقال عنه فرانس فانون: إن هذا الأدب أرفع مستوى من الأدب الجزائري المكتوب بالعربية، غير أنه لم يكن أدب المقاومة بكل معنى الكلمة. ويعتقد الكاتب الجزائري مالك حداد أن التفاعل مع اللغة الفرنسية كسب وفرصة لإغناء الثقافة الجزائرية.أما الكاتب مراد بوربون فيرى أن هذا الأدب ليس من أدب المستعمر ولا استمرارا له فهو أدب متحرر، ويؤكد مالك حداد أن الأدباء الجزائريين وإن عبروا بالفرنسية فهم يترجمون أفكارا جزائرية.[1].

ولم ينل هذا الأدب القبول عند الجزائريين كافة، قال الطاهر وطار: إن الأدب الاشتراكي والبطل الاشتراكي لم يولد في الجزائر... إلا في الأدب المكتوب باللغة العربية. ولا يؤمن مصطفى الأشرف بجدوى الكتاب بالفرنسية ناسبا شهرتهم إلى النقاد الفرنسيين الذين لا يدركون الواقع الجزائري[2].

فاللغة الفرنسية في نظر المتمسكين بعروبتهم هي في الدرجة الأولى وسيلة المستعمر الذي حاول اغتيال اللغة العربية، ولذلك فإن معتنقيها لم ينجوا من حذر المحافظين وقسوتهم. يقول عبد المالك مرتاض: "إن رأي في هذا الأدب سيئ جدا وقد أكون مخطئا في ما أرى، وقد أكون قاسيا في ما أحكم. ولكنني لا أريد أن أكون منافقا في آرائي فأجهر بغير ما أخفي، ولو أردت أن أقول ما أعتقد لقررت بأن هذا هذا الأدب غريب في نفسه، ومنفي من موطنه الذي كتب فيه. ولم يستطع أن يلعب دورا كبيرا في نهضة الأدب المعاصر بالجزائر، فضلا عن أن يلعب دورا خطيرا في إذكاء نار الثورة التي قيضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود الاستعمار الثقيلة".[3]

ويبرر مرتاض رأيه هذا بالقول إن معظم الكتاب الجزائريين بالفرنسية "ظلوا معجبين كل الإعجاب بالحضارة الفرنسية بوجه خاض وبالحضارة الغربية بوجه عام، جاهلين بالتاريخ العربي، غير ملمين بمعالم الحضارة الإسلامية".[4]

---

[1]– ينظر: سلمان نور: الأدب الجزائري في رحاب الرفضو التحرير، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص277–179.

[2]– المرجع نفسه، ص 280–281.

[3]– عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص20.

[4]– المرجع نفسه، ص ن.

وهو لا يتهمهم بنقص الوطنية ولا بنقص الشعور بالمسؤولية، ولكن ينقصهم شيء واحد هو الإلمام باللغة العربية التي كان شعبهم يتحدث بها، فحرموا كل شيء. وجر عليهم تعلم الفرنسية مصيبة لا تبرح بعض آثارها ماثلة في المجتمع الجزائري إلى اليوم، وهي أنهم أقبلوا على محاربة العربية مع من يحاربها من الفرنسيين، متهمين أهلها بالجمود، رامين أصحابها بالقصور، مسلطين عليهم كل وصمة، ملحقين بهم كل عار وشنار.[1]

أما الدكتور عبد ركيبي فله موقف أقل حدة تجاه هذا الأدب من موقف عبد المالك مرتاض، فهو يرى أن الذين عبروا بلغة فرنسية لم يحسوا بالازدواجية اللغوية ولم يحسوا بالمأساة قبل الثورة، لن هذا الأدب لم تتضح معالمه ولم يكن محل نقاش لأن اللغة الفرنسية هي التي كانت مسيطرة على شتى مظاهر الحياة[2].

أما بعد الثورة، فقد تغير الوضع لأن الثورة قامت لتعيد للجزائر شخصيتها العربية ومقومات هذه الشخصية وفي مقدمتها اللغة العربية ومن ثمة "كان لابد أن يقف الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية موقف الاتهام، لأن الإحساس القومي الذي نما بين أفراد الشعب منذ مدة طويلة قد بلغ القمة في الثورة، وصاحب ذلك رد عنيف ضد ما حمله الاستعمار للجزائر من تقاليد وأفكار وثقافة وأدب. وهذا الموقف هو الذي دفع بالبعض إلى إنكار هذا الأدب، ونظروا من هذه الزاوية فاعتبروا أن ما كتب بلغة فرنسية هو أجنبي ودخيل على الأدب الجزائري. ووضعوا الكتاب الجزائريين في صف واحد مع الكتاب الفرنسيين الذين ولدوا هم أيضا على أرض الجزائر وعاشوا فيها"[3].

نماذج من الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

1-محمد ديب*

تمثل ثلاثية محمد ديب التطور الفعلي للرواية المكتوبة بالفرنسية من حيث المضمون، لأنها أول رواية نزلت إلى الطبقات الدنيا في المجتمع متحدثة عن هموم البسطاء من عامة الشعب الجزائري واصفة أحواله القاسية ومعاناته من فقر وجوع وحرمان ، كما أنها أول رواية تحديث عن

---

[1]- المرجع السابق، ص20-21.

[2]- عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، ص 242-243.

[3]- المرجع نفسه، ص243.

*- ولد بتلمسان 1920.وهو مؤلف الثلاثية المسماة (الجزائر) ، ومجموعة قصص قصيرة بعنوان (في المقهى)

النضال السياسي في الجزائر وعن مناضلين يعيشون في الخفاء، مطاردين من طرف البوليس الفرنسي"[1]. حاول ديب في ثلاثيته رسم لوحة ضخمة للجزائر عشية الحرب العالمية الثانية. فمن خلال عيني الفتى عمر الذي يعطي النموذج والوحدة للثلاثية بمغامراته، يعرف القارئ العناء المادي والنفسي الذي عاشه الجزائريون، كما يعرف سبب القلق الذي أشعل نار الثورة، والواقع أن بطل الثلاثية الحقيقي هو الجزائر نفسها، كما أن اليقظة النفسية والعقلية والعاطفية البطيئة للبطل عمر ترمز إلى ميلاد ضمير جزائري متلهف عل الاعتراف به[2].

في الجزء الأول من الثلاثية (الدار الكبيرة) الذي ظهر في عام 1952، يقدم الكاتب وصفا صارخا لحالة الفقر المدقع الذي كانت الطبقة العاملة تعانيه في المدينة، والتي لم تقدر على العيش محترمة لا أخلاقيا ولا ماديا.

وفي الجزء الثاني (الحريق) الذي ظهر عام 1954، نقل ديب البطل عمر إلى الريف حيث أصبح شاهدا على الفقر المادي والمعنوي الذي يعانيه الفلاحون الجزائريون. واكتشف البطل أن مواطنيه لم يكونوا أسعد حالا في الريف.وفي نهاية الجزء جعل الكاتب بطله يشاهد الحريق الذي سينتشر في البلاد كلها، يقول المؤلف: "إن النار قد بدأت ولن تتوقف أبدا. إنها سوف تستمر مشتعلة ببطء وبعماء إلى أن تعم ألسنتها الدموية البلاد كلها بحرارتها المدمرة"[3].

أما الجزء الأخير (المنسج) الذي ظهر عام 1957، فالكاتب يعود بنا إلى المدينة، فعمر شاب مراهق بدأ يعمل كنساج زرابي مثل ما فعل ديب نفسه. والحريق الذي قد كان بدأ في الريف انتشر إلى المدينة أيضا، حيث غزا الفلاحون الجائعون والعراة المدن ليشاركوا في نفس العيشة الضنكة التي يحياها من سبقوهم، وفي نهاية الثلاثية يصبح عمر رجلا يقف كرمز للتمرد الجزائري المتزايد في وجه الاستعمار.

2-كاتب ياسين*

[1]- الحاج لونيس بلخياطي: الاتجاه الواقعي في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، ص44.

[2]- ينظر: أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 98.

[3]- محمد ديب، الحريق، 1954، ص133.

*- ولد في السمندو قرب قسنطينة، عام 1929.

هو صاحب رواية نجمة التي نشرت سنة 1956، "والتي تعتبر أحسن شاهد على ميلاد الجزائر الجديدة، وقد استقبل النقاد الفرنسيون هذه الرواية بحفاوة بالغة، كما اعتبروا مؤلفها أحسن من يمثل أفريقيا الشمالية الأدبية من غير الأوربيين"[1].

وقد تناولت الرواية حالة الفقر الذي يعيشه الجزائريون في المدن والاستغلال البشع والمهانة والذلة التي يتعرض لها العامل الجزائري في ورشات المعمرين وفي المزارع التي استولوا عليها على أطراف المدن. يقول الكاتب على لسان أحد أبطاله: "حين غادر آباؤكم الجبناء القبيلة ليخدموا الفرنسيين كانوا يتوقعون أن يعودوا بعد ذلك أقوياء كما كان قال. ليكن ذلك ولكن أين قوتكم الآن؟".[2] كما تعرضت الرواية للمظالم السياسية والاقتصادية في الجزائر.

3-مولود معمري

تسير أعماله القصصية في خط متواز مع تطور الوقائع السياسية في الجزائر، فروايته الأولى (الهضبة المنسية) تبتديء وقائعها في ما قبل الحرب العالمية الثانية لتصور الوضع في الجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، يعبر في الرواية عن مآسي الشعب وأحزانه وآلامه وبؤسه. وفي روايته الثانية سبات العادل (le sommeil du juste) سنة 1955. صور فيها حالة الفقر والاستغلال والحرمان التي كانت تعاني منها القرى القبائلية المنعزلة في رؤوس الجبال، تحت وطأة الجهل والتقاليد المتحكمة في حياة الناس هذا من جهة ومن جهة ثانية استغلال الاستعمار لحالة الجهل والتخلف والخلاف بينهم بما يخدم مصالحه[3] وفي روايته الثالثة (الأفيون والعصا) فقد تغنى بحب الاستقلال[4].

4-مولود فرعون في رواياته (ابن الفقير 1950). عالج فيها الفقر في بلاد منطقة القبائل اثناء فترة الاحتلال. وهي تعتبر سيرة ذاتية تصف طفولة الكاتب ومراهقته، وهي تغطي السنوات الأخيرة

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص102.

[2]- كاتب ياسين: نجمة، باريس 1956. ص 8. نقلا عن: أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص103.

[3]- ينظر: الحاج لونيس بلخياطي: الاتجاه الواقعي في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، ص44.

[4] - عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، تر: محمد صقر: ديوان المطبوعاتن الجامعية، الجزائر، ص 73

من الحرب العالمية الأولى. وتقع أحداث روايته الثانية (الأرض والدم) في الفترة الواقعة ما بين الحربين العالميتين. أما الرواية الثالثة (الدروب الوعرة)، فهي امتداد لروايته الثانية[1]

خاتمة

ومهما قيل في هذا الأدب من طرف أنصاره وخصومه ، فإن هناك حقيقة لا يمكن أن ينكرها أحد وهي: أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يحمل من السمات ما يجعله محل شك حيث إن بعض الكتاب بالفرنسية لم يخفوا إعجابهم بهذه اللغة وبحضارتها، وكتبوا بها باستمتاع شديد ينم عن ولاء ظاهر لحضارة هذه اللغة إلى درجة فقدان الانتماء، وهناك من الكتاب من لجأ إلى هذه اللغة مضطرا، وكتب بمرارة شديدة تجلت في شخصيات أبطاله، جسدت مأساة الانفصام بينه وبين لغة حضارته. وإن كان هناك من عذر يلتمس للكتاب بالفرنسية قبل الاستقلال، فإن هذا العذر يسقط بعده.

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 72– 73.

قائمة المصادر والمراجع

1- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

2- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1975.

3- نور سلمان الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1988.

4-صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

5- شارل أندري جوليان: أفريقيا الشمالية تسير، الدار التونسية للنشر، 1976.

6- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2009.

7- عمر بن قينة: الديسي حياته وآثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980.

8- نصر الدين بن زروق: الأسلوب في شعر محمد العيد آل خليفة (رسالة ماجستير،غير منشورة)، جامعة الجزائر، 1995-1996 .

9- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

10- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006.

11- مالك ابن نبي : مذكرات شاهد القرن(الطالب)، دار الفكر، بيروت، (د، ت).

12- عبد الملك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

13- رمضان محمد الصالح: (جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي)، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة الجزائر، عدد 83 ، سبتمبر أكتوبر 1983.

14- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (د.ت).

15- عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ط1،ج1، دار البعث، قسنطينة، 1991.

16- أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

17- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

18- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1967.

19- فوزي مصمودي: (محمد العيد آل خليفة الوجه الآخر لنضاله الصحفي)، البصائر سلسلة 4 ،سنة 6، عدد 264 ، 28 نوفمبر إلى 5 ديسمبر 2005.

20- مجلة الصراط: دار الغرب الإسلامي، عدد 3، الاثنين، 25 مارس، 1933.

21- صالح خرفي: شعراء من الجزائر، (الحلقة الأولى)، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات، 1969.

22- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

33- محمد الهادي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج1، ج2، إعداد وتقديم عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطسنة، الجزائر، 2007، ص57.

24 - مجلة الصراط : العدد5، السنة الأولى، الاثنين 1933/10/16.

25- محمد العيد آل خليفة: الديوان، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.

26- أبو القاسم سعد الله: (الجزائر رسالة النوادي)، مجلة الآداب، عدد 11 نوفمبر 1959، دار المعارف، لبنان.

27- - صالح خرفي: شعر المقاومة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت).

28- محمد ناصر: رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.

29- محمد ناصر بوحجام: دراسات عن الشعر الجزائري الحديث، ط1، جمعية التراث، القرارة، الجزائر.

30-إبراهيم أبو اليقظان: الديوان، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1989.

31- مجلة الصراط: دار الغرب الإسلامي، عدد 3، الاثنين 25 مارس 1933.

32- محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، باب الوادي،/ الجزائر، 2009، ص ب..

33-محمد السعيد الزاهري (مكانة مصر في المغرب العربي)، مجلة الرسالة، عدد 135، 1936/03/03، القاهرة، مصر.

34- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، منشورات دار الآداب، ط1، ، بيروت، لبنان، 1966.

35- عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ج2، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

36- محمد بك: محمد الأمين العمودي ودوره في الإصلاح من خلال جريدة الدفاع: (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2009.

37- أحمد سحنون: الديوان، ج1، منشورات الحبر، الجزائر، ط2،2007.

38- مفدي زكريا: اللهب المقدس، موفم للنشر، الجزائر، ط3،2000 .

39- محمد كناي: الشعر الإصلاحي الجزائري الحديث (قضاياه المعنوية والفنية 1925-1962)، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة الجزائر، 1993-1994.

40- أحمد شرفي: الشعر الوطني الجزائري من 1925 حتى 1954، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1978-1979.

41- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن محبوب): البيان والتبيين،ج1، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط5، 1985.

42- عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري (دراسة تشريحية لقصيدة "أشجان يمانية")، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

43- حمزة بوكوشة (تنبؤات الشعراء. أو من جبالنا) البصائر، العدد 358 ليوم الجمعة 3 شعبان 1375هـ، الموافق ل: 16 مارس 1956م.

44- عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، ج1، دار هومة، الجزائر، 2003.

45 – مفدي زكريا: أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، جمع وتحقيق، مصطفى بن الحاج بكيرة حمودة، نشر مؤسسة مفدي زكريا والوكالة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2003.

46– الربيع بوشامة: الديوان، جمع وتقديم جمال قنان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1994.

47– صالح خباشة: الروابي الحمر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

48– أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، ط3، 2010.

49– صالح خرفي: أطلس المعجزات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.

50– محمد الشبوكي: الديوان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1995.

51– مصطفى حركات: قواعد الشعر (العروض والقافية)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1989.

52– محمد الطمار: مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، ابن عكنون، الجزائر، 2005.

53– العربي دحو: قراءات في ديوان العرب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006.

54– عمر أحمد بوقرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر (الشعر وسياق المتغير الحضاري)، شركة دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004.

55– محمد بن زاوي: ثورة التحرير في الشعر الجزائري الحديث، رسالة ماجستير في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988.

56– أبو القاسم سعد الله: مقدمة ديوان: ثائر وحب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

57– أبو القسم خمار: ظلال وأصداء، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970.

58– محمود الربيعي: مقدمة ديوان أغنيات نضالية لمحمد الصالح باوية، موفم للنشر، الجزائر، 2008.

59- محمد الصالح باوية: أغنيات نضالية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

60- محمد أبو القاسم خمار: أوراق، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1967.

61- عبود شراد شلتاغ، حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

62- أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، ط3، 2010.

63- السعيد الورقي: لغة الشعر الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 1984.

64- سلامة أبو السعود سلامة: الإيقاع في الشعر العربي، دار الوفاء لدنيا لطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002.

65- عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

66- شوقي ضيف: فنون الأدب العربي – الفن القصصي-، دار المعارف، مصر، 1956.

67- عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1930-1974، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

68- كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1963.

69- عبد الحميد بن باديس: ابن باديس حياته وآثاره، إعداد وتصنيف عمار طالبي، ج4، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج بوداود، الجزائر، ط3، 1997.

70-أرسطو طاليس: الخطابة، تحقيق وتعليق عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، (د ت).

71-على بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1985.

72- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، (د ت).

73- جورج غريب: صدر الإسلام، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط4، 1983.

74- أنطوان القوال: فن الخطابة ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

75- محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، دار اليقظة العربية، دمشق، سوريا، ط2، 1964.

76-عبد الحميد بوزوينة، بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1988.

77- محمد كامل حسن: القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1971.

78- زايد فهد: أسرار القصة القرآنية، دار يافا، عمان، الأردن، ط1، 2007.

79-عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

80- ابن داود أحمد: دور المسرح في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي (1926-1954) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2008-2009.

81-أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

82- محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1996 .

83- الحاج لونيس بلخياطي: الاتجاه الواقعي في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تلمسان، الجزائر، 2016-2017.

فهرس المحتويات

مقدمـــــــة.....1-2
المحاضرة الأولى.....3-8
المحاضرة الثانية.....9-26
المحاضرة الثالثة.....27-34
المحاضرة الرابعة.....35-42
المحاضرة الخامسة.....43-59
المحاضرة السادسة.....60-71
المحاضرة السابعة 76-90
المحاضرة الثامنة.....91-102
المحاضرة التاسعة.....103-114
المحاضرة العاشرة.....115-123
المحاضرة الحادية عشر.....124-129
المحاضرة الثانية عشر.....130-137
قائمة المصادر والمراجع.....138-143
فهرس المحتويات.....144